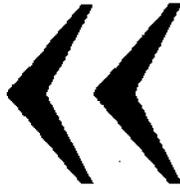




الفصل الخامس



الماسونية بين المصريين

الخطوات الأولى ودور الأجانب:

لقد وصلت إلى أيدينا معلومات مختلفة حول بداية الماسونية في أسلوبها الجديد - أو «النظري» أو كما يقول العرب «الماسونية الرمزية» - في مصر. فقد نشر أحد الكتاب السويسريين ويدعى جان نينه (Jahn Ninet)، كان يعيش في مصر خلال منتصف القرن التاسع عشر الميلادي مقالة في سنة ١٨٨٢م/ ١٣٠١هـ في مجلة تصدر في لندن باسم (The Nineteenth Century) (القرن التاسع عشر) ودون أن يذكر التاريخ الدقيق لبداية الماسونية في مصر. اعتبر في هذه المقالة أن بداية الماسونية في مصر تعود إلى هؤلاء اليهود المسلمين الذين كانوا يدرسون في جامعة الأزهر وطبقاً لقوله فإنهم هم الذين روجوا ونشروا الأفكار الماسونية بين الأزهريين (١). ويذكر مصدر آخر أن الماسونية قد خطت أولى خطواتها في مصر في سنة ١٧٤٧م/ ١١٦١هـ في الإسكندرية (٢).

ويذكر جولد (Gould) الخبير في تاريخ الماسونية خلال القرن التاسع عشر الميلادي أن الجميع على اعتقاد بأن الماسونية تأسست في مصر مع محفل ممفيس (Memphis) في سنة ١٧٩٨م/ ١٢١٣هـ على يد نابليون وضباط الجيش الفرنسي - مثل كليبر (Kleber) - الذين اشتركوا في الحملة الفرنسية على مصر. ولكنه يعود ويصرح بأنه ليس هناك معلومات واضحة حول ظهور محفل فرنسي معتاد قبل سنة ١٨٠٢م/ ١٢١٧هـ حيث تم في نفس السنة تأسيس محفل باسم «المحفل الخيري» (Lage Bienfaisance) في الإسكندرية من قبل المنظمة المركزية للماسونية (المشرق الفرنسي الأعظم) (٣).

ويقول جرجي زيدان أيضاً إن الماسونية ظهرت في مصر لأول مرة في نفس السنة التي وصلت فيها الحملة الفرنسية إليها في ١٧٩٨م/ ١٢١٣هـ حيث قام عدد من «الأخوة الماسونيين» ومنهم الجنرال كليبر الذي كان يرافق نابليون في حملته على مصر بتأسيس محفل ماسوني في القاهرة في شهر أغسطس ١٧٩٨م/ ١٢١٣هـ باسم محفل إيزيس (Isis) وهو اسم لإحدى الآلهات في مصر القديمة، ويقال إن هدفهم من تأسيس هذا المحفل كان سياسياً لأن عدداً كبيراً من رؤساء وعلماء المدن المصرية دخلوا في عضوية هذا المحفل. ولكن هذا المحفل توقف عن ممارسة نشاطه بعد رحيل نابليون عن مصر ومقتل الجنرال كليبر (٤). ويذكر باحث عراقي

أنه ليست هناك أية معلومات واضحة حول ما إذا كان أحد من المصريين قد انضم إلى محفل إيزيس أم لا (٥)، ولكن جرجى زيدان يذكر على الأقل شخصاً واحداً من المصريين الغير مسلمين يدعى (صموئيل حنس) كان عضواً في محفل إيزيس وكان على رغبة شديدة في نشر الماسونية، وقد سافر هو نفسه إلى فرنسا في سنة ١٨١٤م/ ١٢٢٩هـ وأسس هناك بمساعدة بعض الأشخاص محفلاً ماسونياً مساوياً لمحفل ممفيس (٦).

وطبقاً لما كتبه جولد، فقد تم في سنة ١٨٠٦م/ ١٢٢١هـ تأسيس محفل آخر في الإسكندرية باسم «محفل أصدقاء نابليون» (Loge des Amis de Napoleon Le Grand) من قبل «المحفل الفرنسي الأعظم» (٧).

وليس في أيدينا معلومات كثيرة عن نشاط الماسونية في هذا العصر ولكن نشرة يقال إنها قد وزعت ونشرت في سنة ١٨٠٩م/ ١٢٢٤هـ تثبت أن الماسون قد أقاموا احتفالاً يتعلق بما أسماه «مساعدات نابليون للسلام»، وهناك أحاديث أيضاً حول ظهور محافل ماسونية أخرى في سنوات ١٨١١م/ ١٢٢٦هـ، ١٨١٢م/ ١٢٢٧هـ، ١٨١٥م/ ١٢٣٠هـ في الإسكندرية والقاهرة ولكن هذه المحافل لم تحقق تقدماً أكثر من المحافل السابقة (٨).

وهكذا يبدو أن النشاط الماسوني لم يكن قد ظهر في مصر بشكل ملحوظ قبل سنة ١٨٣٠م/ ١٢٤٦هـ لأن المعلومات المتوفرة لدينا لا تفيد شيئاً حول هذا الموضوع. ففي نفس هذه السنة قام جماعة من الماسون الإيطاليين بعد أن فشلت الثورة في إيطاليا بالتوجه إلى مصر وأقاموا في الإسكندرية التي كانت تعد في ذلك الوقت مقراً لعدد كبير من الإيطاليين المقيمين في مصر بإنشاء محفل ماسوني تابع للمحفل الاسكتلندي. ويذكر جرجى زيدان أن هذا الحفل التابع «لبعض الإخوة الإيطاليين» قد تأسس بشكل قانوني ولكنهم كانوا يمارسون نشاطهم بأسلوب غاية في السرية خوفاً من ملاحظتهم أو القضاء عليهم. وشيئاً فشيئاً ازداد عدد الماسون وكان يرى فيما بينهم الكثيرون من العلماء المحليين، وفي سنة ١٨٣٨م/ ١٢٥٤هـ ظهر في القاهرة محفل آخر كان تابعاً «للمجلس العالي للممفيس الفرنسي» (٩).

ويجب القول إن السرية التي تميزت بها المحافل الماسونية الإيطالية لم تكن موجودة في المحافل الماسونية التابعة لفرنسا بعد أن استأنفت نشاطها في مصر مرة أخرى في سنة ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ وهذه الميزة ربما كانت بسبب أن الفرنسيين كانوا نوى نفوذ ملحوظ في بلاط محمد علي باشا. وعلى أية حال وكما يقول جرجى زيدان ففي تلك السنة نفسها تم تأسيس محفل ماسوني تابع لـ «المشرق الفرنسي الأعظم» في الإسكندرية باسم «الأهرام» انضم إليه عدد كبير من العلماء المصريين والأجانب كان من بينهم الأمير عبد الحليم باشا وابن الخديو محمد علي باشا والأمير عبد القادر الجزائري. وقد اشتهر هذا المحفل الماسوني في مجال الأعمال الخيرية وجمع الأموال وإنفاقها لصالح الجميع. ولم يكن قد مضى على تأسيس هذا المحفل أكثر

من خمسة عشر عاماً حتى وصل عدد أعضائه في سنة ١٨٦٠م / ١٢٧٧هـ إلى ألف عضو وكان من العلماء المنتمين إليه زولا (Zola) الذي صار بعد ذلك «الأستاذ الأعظم» في محافل أخرى عديدة (١٠).

وهنا تجب الإشارة إلى أنه رغم أن جرجي زيدان لا يذكر بوضوح في أي سنة بالضبط انضم عبد الحليم باشا وعبد القادر الجزائري لهذا المحفل الماسوني الذي تأسس في سنة ١٨٤٥م / ١٢٦١هـ إلا أننا يجب أن نقول إن عبد القادر الجزائري كان في تلك السنة يخوض غمار معارك ضارية مع الفرنسيين في الجزائر أو الغرب مما يستبعد معه انضمامه إلى محفل ماسوني فرنسي مقره في الإسكندرية بمصر. وسوف نتناول هذه النقطة بتوسع في الفصل السابع من هذا الكتاب.

وعلى أية حال فإن الإيطاليين أيضاً في نطاق التنسيق مع الفرنسيين قاموا في سنة ١٨٤٩م / ١٢٦٦هـ بتجديد تأسيس محفلهم الماسوني في الإسكندرية ومن ذلك التاريخ بدأوا سلسلة من الدعاية الماسونية في المعاهد العلمية الإيطالية بالقاهرة، وقاموا بإصدار نشرات متنوعة حول هذا الموضوع. وبعد ذلك تأسس عدد كبير من المحافل التابعة للفرنسيين والإيطاليين في المدن المصرية مثل مدينة الإسكندرية والقاهرة وبورسعيد والسويس والإسماعيلية والمنصورة. وفي سنة ١٨٦٦م / ١٢٨٣هـ ظهر في القاهرة محفل ماسوني ألماني أيضاً تحت رعاية «محفل هامبورج الأعظم» (Grand Lodge of Hamborg).

وفي سنة ١٨٦٧م / ١٢٨٤هـ تحرك الإنجليز على نطاق واسع وقاموا بنشر نشاطهم الماسوني في مصر. وقد استطاع بروج (Borg) القنصل البريطاني في مصر في ذلك الوقت خلال مدة قصيرة أن يسحب حوالي ٣٠٠ عضو إلى طائفة الماسونية الإنجليزية كان الكثيرون منهم من العلماء المصريين. ولم يمض كثير حتى اختار الماسون التابعون لفرقة ممفيس عبد الحليم باشا ليكون «أستاذاً أعظم» لهم. وطوال سنوات ١٨٧٢: ١٨٧٨م / ١٢٨٩: ١٢٩٥هـ اتحدت معظم المحافل الماسونية مع بعضها وأطلقت على نفسها اسم «المشرق المصري الأعظم» (Grand Driemt of Egypt) واتخذت من مدينة القاهرة مقراً لها. بعد ذلك تركز النشاط الماسوني واستقر بشكل أكثر، وازداد عدد المحافل الماسونية أيضاً، ويذكر جرجي زيدان في كتابه أسماء أكثر من خمسين اسماً لمحافل مختلفة إنجليزية وفرنسية وإيطالية (١١). كما يذكر جولد عدداً من المحافل الماسونية التي كانت تمارس نشاطها في مصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي وتتبع «المحفل الإنجليزي الأعظم» (Grand Lodge of England) ويذكر مع كل منها الخصائص التي تميز بها (١٢).

والتنسيق الذي تم بين المحافل الماسونية في مصر أضفى على هذه المنظمة قوة وأهمية ملحوظة دفعت خديوي مصر في ذلك الوقت إسماعيل باشا (حكم في الفترة ١٨٦٣: ١٨٧٩م /

١٢٨٠: ١٢٩٧هـ) لأن يمد يد الصداقة للماسون ويظهر حبه للماسونية وإعجابها بها ويعمل على تأييدها ومساندتها حتى أنه كما يقول الجنرال القنصل الإيطالي في مصر انضم بنفسه إلى عضوية الماسونية(١٣).

وطبقاً لما كتبه الكثيرون من الخبراء في تاريخ الماسونية فإن الماسون في مصر كانوا بشكل عام يعتمدون على أهداف إنسانية وأخريه ولكن من ناحية أخرى فإن الماسون التابعين للمحافل الإيطالية كانوا في سنوات ١٨٦٨: ١٨٧٠م / ١٢٨٥: ١٢٨٧هـ متورطين في أعمال وممارسات مناهضة للعائلة الملكية في إيطاليا بل وكانوا أيضاً متورطين في جرائم سرية مثل الاغتيالات في المدن المصرية وكانوا في نفس الوقت يتمتعون بحماية المحافل الماسونية(١٤).

وكان لهذه المحافل الماسونية السرية نشرات دورية أيضاً كان يتم توزيعها بأسلوب سرى. ويبدو أن الكثير من مثل هذه الكتابات كانت جديرة بالكتابة من وجهة نظر المصريين المؤيدين للنشاط السياسى وكانوا يتخذونها كنموذج حى ومثل أعلى يحتذى به. وعن طريق النشاط السياسى - السرى لنفس هذه المنظمات الماسونية الأجنبية تعرف المصريون على مسيرة الصراع السياسى الأوروبى وتعلموا الأساليب التنظيمية للجمعيات والمحافل السرية السياسية تلك الأساليب التى كانت تهمهم فى ذلك الوقت وما تلاه من عصور وأزمنة.

الماسونية، قاعدة للصراع السياسى: عبد الحليم باشا:

لقد كانت فترة حكم الخديوى إسماعيل فترة مضطربة وملينة بالغبان والحركة بالنسبة للحركات القومية المصرية، مثلما كانت النيابيون الأتراك خلال العقد الأول من القرن العشرين لم يكن هناك طريق عملى سوى الاستفادة من المحافل والجمعيات السرية. وكانت هذه الطبيعة السرية التى تميزت بها المحافل الماسونية هى التى استطاعت أن تقرب المصريين من تحقيق أهدافهم السياسية وذلك لأنه خلال فترة من حكم الخديوى إسماعيل كانت المنظمات الماسونية تعتبر المنظمة السرية الوحيدة الموجودة فى مصر. ويجب أن نضيف أيضاً أن عدداً من العلماء كانوا يرغبون فى التعرف على النشاط السرى للماسونية من قبل التمهيص أو أنهم كانوا يعلقون آمالاً عليها فى أن تكون لهم بعضويتهم فى الماسونية علاقة بالشخصيات البارزة المنتفذة. وواضح أن هؤلاء الرجال كانوا نوى خصائص أخلاقية ووجهات نظر مختلفة ولكن كان يوجد بينهم وجه مشترك؛ وهو أنهم جميعاً كانوا يرغبون فى إحداث حركة إصلاحية فى مصر. ولهذا السبب نرى أنهم قد توجهوا إلى المنظمات الماسونية التابعة لإيطاليا (فى المقام الأول) وفرنسا وانجلترا (فى المقام الثانى والثالث) وقد بدأ هذا التوجه منذ سنة ١٨٦٨م / ١٢٨٥هـ (١٥).

كان الأمير عبد الحليم باشا أحد الشخصيات المصرية البارزة التى ارتبطت نشاطها السياسى بالماسونية. فقد كان هو الابن الوحيد الذى بقى خلال العقد السادس من القرن التاسع من مؤسسى مصر الحديثة محمد على باشا كما كان عم الخديوى إسماعيل خديوى مصر فى ذلك الوقت وكان

حليم باشا يعتبر الخليفة القاتوني الوحيد للخديوى إسماعيل طبقاً لقانون الخلافة فى الإمبراطورية العثمانية الذى كان ينص على أن أكبر فرد سناً فى الأسرة الحاكمة هو الخليفة وولى العهد الرسمى لمصر، ولكن إسماعيل حاول جاهداً أن يدفع السلطان العثمانى الذى كان يعتبر مصر - على الأقل فى الظاهر - إحدى الولايات التابعة لإمبراطوريته لأن يغير فى سنة ١٨٦٦م/ ١٢٨٣هـ قانون ولاية العهد فى مصر وأن يمنح حق ولاية العهد لأكبر أبناء خديوى مصر سناً لى يصبح نتيجة لذلك توفيق باشا ولياً للعهد وخليفة للخديوى إسماعيل على العرش.

ولهذا السبب قام عبد الحليم باشا بتنظيم سلسلة من الصراعات الطويلة للإضرار بالخديوى إسماعيل: فمن ناحية تورط فى النشاط السياسى والثورى ضد النظام الحاكم فى مصر الذى كان فى زيادة مستمرة، ومن ناحية أخرى وطد مركزه ومكانته فى سلسلة الرتب والمراكز الماسونية فى مصر أكثر عن ذى قبل حتى يستطيع عن طريق هذا السبيل أن يوجه ضربه إلى الخديوى إسماعيل. وفى هذا السبيل استغل تحول الماسون المصرىين على أساس الاستقلال عن نفوذ الماسون خارج مصر (١٦). ويذكر جولد أن «المشرق المصرى الأعظم» والمحاقل التابعة له استطاع أن يحقق تقدماً وتوفيقاً ملحوظاً تحت رئاسة حليم باشا من سنة ١٨٦٧م/ ١٢٨٤هـ حتى سنة ١٨٦٨م/ ١٢٨٥هـ، ولكن لأن حليم باشا تم نفيه فى هذه السنة الأخيرة فإن «المشرق المصرى الأعظم» توقف عن ممارسة نشاطه هو والمحاقل التابعة له. ولكن بعد ذلك بعدة سنوات وبالتحديد فى سنة ١٨٧٢م/ ١٢٨٩هـ استأنفت تلك المنظمة ممارساتها وأطلقت على نفسها اسم «المشرق الأعظم الوطنى المصرى» وأصبح زولا «أستاذة الأعظم» (١٧).

ومن الواضح أن نفى عبد الحليم باشا من قبل الخديوى إسماعيل كان لأن نشاطه ضد الجهاز الحاكم التابع للخديوى لم يكن مطلقاً دون علم من الخديوى نفسه. فالتقارير التى كان يتلقاها الخديوى كانت تتهم حليم بأنه كان يخطط لقتل إسماعيل وأنه كان متورطاً إلى أبعد الحدود فى النشاط الثورى. ولهذا السبب قام الخديوى إسماعيل بنفى حليم باشا إلى استانبول فى نهاية سنة ١٨٦٨م/ ١٢٨٦هـ، ولكن حليم باشا لم يكف عن محاربة الخديوى والعمل ضده واستطاع وهو فى تركيا وفرنسا أن يستمر على مؤامراته ضد الخديوى إسماعيل بمساعدة أصدقائه الماسون ذوى النفوذ فى مصر. وتذكر التقارير التى كتبها الجنرال قنصل إيطاليا فى مصر أن الخديوى إسماعيل كان على قناعة بأن حليم باشا كان يعمل ضده عن طريق الماسونيات الأجنبية، وطبقاً لتقرير نفس المسئول الإيطالى فإن الخديوى إسماعيل لأنه كان نفسه من الماسون كان يحاول أن يحبط نشاط حليم باشا ضده عن طريق نفوذه الماسونى (١٨).

سيد جمال الدين الأسد أبادى (الأفغانى) والماسونية:

للحديث عن النشاط الماسونى فى مصر خلال السبعينات من القرن التاسع عشر الميلادى فنحن مضطرون أيضاً لأن نتحدث عن واحد من أنشط وأشهر الشخصيات الفكرية والسياسية

فى العالم الإسلامى فى ذلك الوقت ونعى به سيد جمال الدين الأسد أبادى المشهور بالأفغانى (١٨٣٨: ١٨٩٧م/ ١٢٥٤: ١٣١٤هـ). ويجب أن نقول هنا إن سيد جمال الدين - الذى أصبح واضحاً للجميع الآن أنه إیرانى الأصل مائة فى المائة (١٩). كان شخصية معقدة للغاية والمعلومات المؤكدة حوله من الصعوبة بمكان، فقد كان رجلاً يعيش فى حركة دائمة ولأسباب احتفظ بها كان يخفى الكثير من خصائص شخصيته بل وحتى اسمه الحقيقى، ولهذا السبب ترك حوله معلومات متضاربة وغير واضحة ومثيرة للأقاويل. فقد كانت جنسيته ومذهبه وتوجهاته السياسية الدولية وتبعيته التنظيمية من بين المسائل التى اهتم بها الباحثون المجتهدون، ومن هذا المنطلق ظهرت جهات نظر وآراء مختلفة لصالحه أو ضده كما ظهرت حوله عشرات ومئات الكتاب والمقالات والرسائل فى تسع لغات على الأقل فى جميع أنحاء العالم (٢٠).

وكانت صلة جمال الدين بالمحافل الماسونية المختلفة واحدة من القضايا المثيرة للبحث حول شخصيته. والكثير من الكتب التى كتبت حول الماسونية تقرر أنه كان على صلة بالمحافل الماسونية المختلفة الإيطالية والفرنسية والإنجليزية واليونانية بل أن أغلب هذه الكتب اجتمعت على أنه لعب دوراً ملحوظاً فى نشر حركة الماسونية فى مصر (٢١).

والواضح أن الكتاب الذين كتبوا فى هذا الموضوع كانت لهم وجهات نظر متضاربة وكانوا يهدفون فى أبحاثهم إلى أهداف خاصة ولهذا السبب أشاد الكثير من هؤلاء الكتاب بالنشاط الماسونى لسيد جمال الدين (٢٢). بينما قام الكثيرون منهم أيضاً بتوجيه النقد الشديد لشخصيته بسبب هذا النشاط (٢٣). وعلى أية حال فإن المناقشة والبحث حول صدق هذه الآراء المتضاربة من عدمه حول علاقة سيد جمال الدين بطائفة الماسون لا تدخل فى إطار بحثنا هذا. وما هو جدير بالبحث والكتابة فى هذه الأبحاث فى رأينا هو تلك المعلومات التى توفرت حول تفاصيل النشاط الماسونى لسيد جمال الدين أثناء فترة إقامته فى مصر، ولتحقيق هذا الهدف علينا أن نستفيد من الوثائق التى اكتشفت حديثاً فى هذا الموضوع وكذلك من التحليلات البحثية السليمة فسيد جمال الدين طوال السنوات الثماني التى قضاها فى مصر من سنة ١٨٧١م/ ١٢٨٨هـ، ١٨٧٩م/ ١٢٩٧هـ. شارك فى الساحة السياسية لمصر بشكل عميق وجمع حوله عدداً كبيراً من المفكرين والكتاب والسياسيين والنشطاء السياسيين الذين أحبوه وعولوا كثيراً على أفكاره السياسية والاجتماعية والفلسفية وهو نفس الوقت الذى رأينا فيه سيد جمال الدين والكثيرين من أصدقائه النشطاء والعلماء فى طائفة الماسون. وهكذا يبدو أن علاقته بالمنظمات الماسونية قد ساعدته هو وأصدقائه على أن يتمكنوا من تنفيذ برامجهم ومخططاتهم السياسية، وخاصة أن الكثيرين من أعضاء المحافل الماسونية كانوا من كبار رجال الدولة فى مصر.

والمحافل الماسونية التى كان سيد جمال الدين قد انضم إليها لم تظهر حتى الآن أى وثائق حوله. والأبحاث التى يقوم بها الباحثون فى هذا الموضوع تعتبر فى حد ذاتها ذات نقصان وعلى غير اكتمال حتى يتم نشر جميع الوثائق المتعلقة بهذا الموضوع. ولكن المستندات

والوثائق التي بقيت عن سيد جمال الدين وظلت محفوظة لسنوات لدى أسرة «أمين الضرب» الذي كان أحد رجال الدولة في عهد القاجاريين وتم طبعها ونشرها منذ عدة سنوات تقرر أن علاقته بالماسون قد بدأت منذ عام ١٨٧٥م/ ١٢٩٢هـ. وكان سيد جمال الدين قد طلب بنفسه الانضمام إلى عضوية الماسونية في خطاب له «كمدرس للعلوم الفلسفية» (٢٤) وباسم «جمال الدين الكابلي» وقد وجه هذا الخطاب إلى «أرباب المجمع المقدس الماسوني» (٢٥). وهذه الوثيقة هي التي تثبت بشكل واضح أن المذكور كانت له علاقة عمل مع المنظمات الماسونية الإيطالية والفرنسية والإنجليزية واليونانية في القاهرة (٢٦). وتوجد بين أيدينا رسالة بتاريخ ٧ يناير ١٨٧٨م/ ١٢٩٥هـ (٢٧) من أحد المحافل الإنجليزية بالقاهرة وكان يسمى «محفل كوكب الشرق» وهذه الرسالة تثبت أن سيد جمال الدين قد انتخب بأغلبية الأصوات «ك رئيس محترم لهذا المحفل» وذلك في سنة ١٨٧٨م ونفس هذه الرسالة وجهت فيها الدعوة للمذكور للاشتراك في جلستين من جلسات المحفل حيث حضر في هذا المحفل بملابس سوداء ورابطة عنق وقفازات بيضاء (ملابسكم تكون سوداء، ورباط الرقبة والكفوف بيضاء) (٢٨).

وخلال السنوات الأخيرة من العقد السابع في القرن التاسع عشر حل الاضطراب للساحة السياسية المصرية وأثار النظام المستبد للخديوي إسماعيل وتبعيته للأجانب غضب الشديد لدى الوطنيين المصريين ومحبي مصر. حيث كانت الشئون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية في مصر قد غرقت في دوامة الفساد. وفي سنة ١٨٧٦م/ ١٢٩٣هـ أعلنت الخزانة المصرية إفلاسها، وعقب ذلك قامت الدول الأجنبية بإقراض مصر بمبالغ ضخمة واستطاعت هذه الدول بذلك أن تضع يدها على النظام المالي في مصر في إطار خاص (٢٩).

وبعد ذلك بعامين اتخذ الخديوي إسماعيل خطوة أخرى لصالح الأجانب، إلى درجة أنه ضم إلى الوزارة المصرية وزيرين من الأجانب أحدهما إنجليزي والآخر فرنسي حتى يكون لهما حق الرقابة على مسيرة الأمور في مصر. وكان عدد من الساسة المصريين البارزين مثل شريف باشا وعدد من نواب البرلمان قد بدأوا نشاطهم بهدف زيادة البرلمان المصري وتحديد سلطات الخديوي وتقويضها. وقد جاء نشاط سيد جمال الدين السياسي المناهض للنظام المصري بسبب الأزمة السياسية التي كانت تعيشها مصر في ذلك الوقت. فقد أقدم جمال الدين على إلقاء سلسلة من الخطب أمام الرأي العام دعى فيها الجماهير للثورة ضد النظام الحاكم المستبد في مصر. وقد كتب سليم عنحوري الذي كان من الصحفيين وشاعراً وناقداً اجتماعياً ومن أتباع سيد جمال الدين (٣٠). أن هذه الخطب قد أيقظت الشعب المصري وضاعفت من غضبه ضد النظام المصري وكانت هذه الخطب في الواقع هي الشرارات الأولى في ثورة عرابي المسلحة في سنوات ١٨٨٠: ١٨٨٢م/ ١٢٩٨: ١٣٠٠هـ.

وفي نفس الوقت كان سيد جمال الدين يتحدث دائماً ضد الإنجليز الذين كانوا في ذلك الوقت قد قبضوا بشكل عام على أزمة الأمور في مصر وقد كتب مراسل جريدة التايمز اللندنية (The

(Times) فى تاريخ ٣٠ أغسطس ١٨٧٩م / ١٢٩٦هـ أن سيد جمال الدين لم يتحمل مطلقاً تدخل الأوروبين فى شئون مصر وظل يرفع شعار «مصر للمصريين» حتى الوصول إلى نتيجة حاسمة (٣١). كما أنه أسس حزباً باسم «الحزب الوطنى الحر» وهذا الحزب هو الذى لعب دوراً أساسياً فى خلق الخديوى إسماعيل (٣٢).

وقد وصل سيد جمال الدين فى صراعه السياسى ضد نظام إسماعيل إلى درجة أنه كان يتحدث مع عرابى باشا بشكل سرى بشأن خلعه وذلك حسب قول الشيخ محمد عبده وأحمد عرابى نفسه كما أنه اقترح على الشيخ محمد عبده أنه يجب أن يتم اغتيال الخديوى إسماعيل أثناء عبوره اليومى لكوبرى قصر النيل وكان محمد عبده مؤيداً بشدة لهذا الاقتراح (٣٣). ومن الواضح أن أشد الصراعات السياسية التى خاضها سيد جمال الدين قد تمت فى نفس الوقت الذى كان فيه عضواً فى الجمعيات الماسونية وهكذا يبدو أنه هو أيضاً كان يستفيد من الطبيعة السرية لهذه الجمعيات لممارسة نشاطه السياسى ضد النظام الحاكم فى مصر.

وقد جاء فى أغلب المصادر أن سيد جمال الدين كان يستفيد من محفل «كوكب الشرق» لممارسة نشاطه السياسى. ويعتبر محمد صبرى من الأشخاص الذين أطلوا البحث والكتابة حول ماسونية سيد جمال الدين. وهو يكتب أن سيد جمال الدين والجماعة من أتباعه قد انضموا أولاً إلى أحد المحافل الماسونية الإيطالية فى الإسكندرية. ولكنه انضم إلى العضوية فى محفل إنجليزى وذلك بتوجيه من نائب القنصل الإنجليزى فى ذلك الوقت رالف بورج (Ralph Borg)، وكان هذا المحفل يضم ٣٠٠ عضواً وكان الكثيرون من أعضائه قد تزعموا الحركة الوطنية فى مصر فى سنوات ١٢٩٥: ١٣٠٠هـ / ١٨٧٨: ١٨٨٢م. وطبقاً لما كتبه صبرى فإن الكثيرين من أعضاء هذا المحفل هم الذين خططوا لقتل الخديوى إسماعيل باشا فى محفل سرى آخر، ويضيف صبرى أيضاً أن سيد جمال الدين استطاع أن يضم توفيق باشا عندما كان ولياً لعهد مصر إلى المحفل الماسونى بمراسم وتشريفات رسمية (٣٤).

انسحاب سيد جمال الدين من الماسونية وتأسيس محفل:

ولكن سيد جمال الدين بعد أن قضى مدة فى نشاطه الماسونى تم طرده من أحد المحافل الماسونية الذى ربما كان هو نفسه محفل «كوكب الشرق» وحول هذا الموضوع هناك أقوال وأقوال كثيرة. فطبقاً لما قاله محمد المحزومى «أحد الأخوة» فإن هذا المحفل قد أعلن لسيد جمال الدين «أن الماسونى لا يجب أن يتدخل فى السياسة ويجب أن يظل بعيداً عن مكائد الحكومة وإجراءاتها» ورداً على هذا الكلام الثائر قال سيد جمال الدين: «إن أول شيء شجعنى على الاشتراك فى هذا المجمع للأحرار كان هو هذا العنوان والشعار العظيم الحرية، والمساواة والأخوة الذى يهدف لصالح عالم البشرية وأن وراء هذا الشعار تبذل الجهود للقضاء على الظلمة حتى يتم إقامة أساس العدالة الحقيقية ولقد أثبتت لى عزة نفس الماسون وأخلاقهم

الظاهرة واستحضارهم للموت في مواجهة الظلمة، وهذا التعريف للماسون جعلنى في حالة من الرضا عن دخولى لطائفة الماسونية. ولكننى مع شديد الأسف أرى أن الكبر والغرور وحب الرئاسة في أمور الاجتماعات طبقاً للأهواء وتطويع الشرق لأوروبا والتهديد والوعيد هي الأعمال التى تبقى عليها أساس الماسون. أنهم يعملون لاعتبارات لا تخرج عن حيز ظلم الملوك والحكام، وفي مختلف الأمور يراعون قواعد أخذت أساساً عن الأجانب وهذه الأعمال تقود الناس إلى الظلام والجهالة رغم أنهم في حاجة ماسة إلى النور والتتوير» (٣٥).

ويضيف المخزومى أن سيد جمال الدين بعد سلسلة من الخطب من هذا القبيل خرج من هذا المحفل (٣٦). ويجب أن نذكر أن المخزومى من محبى سيد جمال الدين ومؤيديه وكما أشرنا فى مكان (٣٧) أن أسلوب كتاب «خاطرات جمال الدين» لا يوجد به نقد بحثى بأسلوب مستحسن. فإنه لهذا السبب ليس من الواضح بالنسبة لنا إلى أى مدى تتسم آراؤه فى هذا الصدد بضيق الأفق وقصر الرؤية.

وقد كتب رشيد رضا نقلاً عن الشيخ محمد عبده أن السبب الحقيقى لخروج سيد جمال الدين من الماسونية هو أنه عندما كان «الأستاذ الأعظم» للماسونية الإنجليزية ويعنى به أمير ويلز يقوم بزيارة لمصر قامت المحافل الماسونية والماسون فى مصر بالترحيب به وخاطبه أحد الماسون بلقب «ولى العهد» وقد اعترض سيد جمال الدين وقال إن أحداً لا يسمح بمخاطبة أى عضو من الماسونية بهذا الأسلوب حتى ولو كان هذا العضو ولياً لعهد بريطانيا ولكن الكثيرين من أعضاء وزعماء الماسونية الآخرين أعربوا عن رفضهم لهذا الكلام الذى تحدث به سيد جمال الدين وبعد سلسلة من المناقشات خرج سيد جمال الدين ومعه جماعة من خواصه وأتباعه منهم الشيخ محمد عبده من عضوية الماسونية (٣٨).

ويقول قدسى زاده إنه لم يتضح حتى الآن فى أى تاريخ ومن أى محفل ماسونى خرج سيد جمال الدين. وإذا كان ما قاله رشيد رضا فى هذا الموضوع صحيحاً، فإننا يجب أن نعتبر أن تاريخ خروج سيد جمال الدين من محفل أو محافل الماسونية قد وقع فى سنة ١٨٧٥م/ ١٢٩٢هـ أو سنة ١٨٧٦م/ ١٢٩٣هـ وذلك لأن أمير ويلز كان يقوم بزيارته لمصر فى هذه السنوات (٣٩). س وقد ذكر الشيخ محمد عبده فى حديث له مع بلانت (Blant) حول هذا الموضوع جرى فى سنة ١٩٠٣م/ ١٣٢١هـ أن «الشيخ جمال الدين» قد التحق بأحد المحافل الماسونية التابعة لأوروبا ولكنه أدرك بسرعة أن هذه المنظمة تخلو من كونها ذات قيمة ولهذا السبب تخلص من عضويته فيها (٤٠).

ويوجد بين أيدينا تقرير أيضاً من القنصل الإنجليزى فى القاهرة بتاريخ ٣٠ أغسطس ١٨٧٩م/ ١٢٩٦هـ يعتبر فيه أن طرد سيد جمال الدين من محفل الماسونية كان بسبب عدم اعتقاده الواضح بالله الخالق (٤١).

وفى مقابل هذا التقرير للتقصيل الإنجليزى، عثر على حديث آخر فحواه أن سيد جمال الدين يعتبر بعيداً عن الإلحاد. فعلى سبيل المثال قيل إنه إذا كان سيد جمال الدين ملحداً لما استطاع أن يستمر فى عضويته بأحد المنظمات الماسونية التى تعتبر أن الإيمان بخالق الدنيا شرط لعضويتها ويستمر فى هذه العضوية من سنة ١٨٧٥م/ ١٢٩٢هـ حتى سنة ١٨٧٩م/ ١٢٩٦هـ بل وحتى يصل إلى مرتبة الرئيس فى أحد المحافل الإنجليزية (٤٢).

وعلى أية حال فإن عدداً من الكتاب المقربين لسيد جمال الدين والمطلعين على أحداث حياته مثل محمد المخزومى وأديب إسحاق وسيد محمد رشيد رضا قد كتبوا أن سيد جمال الدين بعد انفصاله عن محفل الماسون الذى يقال إنه كان تابعاً «للمحفل الإنجليزى الأعظم» أسس بنفسه محفلاً وطنياً كان تابعاً لمحفل «الشرق الفرنسى الأعظم». وهذا المحفل استطاع فى فترة وجيزة أن يجذب لعضويته أكثر من ٣٠٠ شخص وكان من بينهم – بالإضافة لأتباع سيد جمال الدين المعهودين – عدد آخر من العلماء مثل شريف باشا وبطرس باشا غالى وعدد من الصحفيين والمفكرين ونواب البرلمان وضباط الجيش وحتى الزعماء الدينيين. وكان توفيق باشا ولى عهد مصر أيضاً من أتباع هذا المحفل (٤٣).

ويضيف رشيد رضا حول سبب تأسيس هذا المحفل أن سيد جمال الدين كان يعلم التلاميذ الذين جمعهم حوله أصول الدين والفلسفة وكان يعتبر أنه من الضرورى دمج السياسة بالعلم ولكن كان الخوف من ألا يتركهم استبداد إسماعيل باشا أن يصلوا إلى مطالبهم وتحققها. ولهذا السبب قاموا بتأسيس محفل ماسونى واختاروا سيد جمال الدين لرئاسته وكانت الأحاديث والخطب فى هذا المحفل تدور حول حياة الأمم وموتها وإقامة الدول وسقوطها (٤٤).

وكان بعد ذلك أن اتسع نطاق نشاط سيد جمال الدين وأصدقائه الماسون وكانوا يتدخلون مباشرة فى جميع شئون البلاد. وكان أعضاء ذلك المحفل الوطنى قد انقسموا إلى عدة لجان كانت على صلة بالهيئات الحكومية كممثلين لهذا المحفل، وكان أحد أعضاء هذا المحفل مكلفاً بتوجيه إنذار إلى وزير الحربية بضرورة معاملة الضباط المصريين الذين يخدمون فى السودان معاملة عادلة. وكان هؤلاء الضباط المصريون مكلفين بالخدمة هناك لمدة أربع سنوات، بينما كان زملاؤهم الجراكسة (الجراكسة كانوا من الجنس الققازى الذين هاجروا إلى مصر) يقضون فى السودان عامين فقط، كما اختير أيضاً من المحفل الوطنى لسيد جمال الدين أعضاء آخرون لمطالبة وزراء العدل والمالية والعمل وباقى الوزراء فى الحكومة المصرية بإقرار المساواة والعدل بين موظفى الدولة (٤٥). وحول هذا الموضوع يضيف المخزومى: «إن كل أمر كان يحول إليه كان يتمه على أكمل وجه ودقة وكانت إجراءات الحكومة وأعمالها تنفذ من قبل المحفل (الماسونية) وبلهجة وأسلوب خاص يجعل جميع سامعيه فى عجب من هذه الخطب والأحاديث وتسرى الهمة واللفظ فى جميع الإدارات والمحاقل من جرأتهم» (٤٦).

حديث سيد جمال الدين عن سبب اعتزاله الماسونية:

هكذا يبدو أن سيد جمال الدين اضطر مرتين لأن يعتزل المحفل أو المحافل الماسونية حيث يتحدث بنفسه بوضوح حول المرة الثانية ويعدد أسبابها ويقول: إن محبته وصداقته للخديوي الجديد توفيق باشا أصبحت سبباً لعداء الماسون المؤيدين لعبد الحليم باشا له وكان هذا نفسه قريباً لاعتزاله الحفل الماسوني والتهم التي ألصقت به عن إلحاده.

وربما يكون مفيداً في هذا الموضوع أن نفتح الحديث بشكل أكثر: فنحن نعلم أن الخديوي إسماعيل قد تم عزله عن حكم مصر عقب الصراع والتدخلات المتوالية لحكومتى إنجلترا وفرنسا وذلك في منتصف سنة ١٨٧٩م/ ١٢٩٦هـ وجلس مكانه على العرش ابنه توفيق باشا. ويجب أن نذكر أيضاً أن توفيق باشا نفسه كان يعتبر من الماسون ومن الأصدقاء المقربين لسيد جمال الدين والمؤيدين والمحبين لأفكاره. ولكن عقب سلسلة من الأسباب والعوامل لا يتسع المجال هنا لذكرها تم نفي سيد جمال الدين من مصر إلى الهند في شهر أغسطس ١٨٧٩م/ ١٢٩٦هـ. والجدير بالذكر أن حكومة توفيق باشا أعلنت أسباب نفي جلال الدين على هذا النحو: «كان يعد رئيساً لجمعية سرية للشباب المتهور الأرعن الذين كانت أهدافهم تتمثل في «فساد الدين والدنيا» (٤٧). وعلى أية حال فإن سيد جمال الدين توجه للسفر إلى لندن وباريس بعد التوقف فترة في مدن هندية مختلفة. وبينما كانت السفينة التي تقله متوقفة في قناة السويس في ديسمبر ١٨٨٢م/ ١٣٠٠هـ قام بكتابة رسائل مختلفة لعدد من كبار الشخصيات في مصر شكا فيها من سوء معاملة الشرطة في القاهرة له واتهامه بالإلحاد. فقد كتب إلى أحد أصدقائه المقربين الذي ربما كان أحد أعضاء نفس المحفل الماسوني الذي أسسه جمال الدين باللغة العربية:

«إنك لتعلم حقيقة مجلسنا وتأسيسه وأسباب جره إلى الفساد ولم يكن هناك شيء خفياً عليك مطلقاً وكنت أنت على علم بأسراري بشكل شامل، ولهذا السبب كيف تبدي صبراً تجاه الاتهام الكاذب الذي وجهه إلى ضابط البوليس عثمان باشا ولا تدافع عن الحق وتنصره؟ فقد قال إنني كنت رئيساً لمجمع قام على أساس إفساد الدين والدنيا إن هذا لاقتراء وكذب وصدق الخديوي كلامه دون أن يفكر في الموضوع وأصدر أوامره بنفي بأسوأ أسلوب كان» (٤٨).

كما توجد بين أيدينا أنها رسالة على مستوى عال كتبها سيد جمال الدين في نفس السفينة التي توقفت في قناة السويس وجهها إلى رياض باشا الذي خاطبه فيها بلقب «مولاي» وتوجد المسودة العربية لهذه الرسالة بين الأشياء التي تبقت عن سيد جمال الدين تزيح الستار عن الكثير من العلاقات والنشاط السياسي في ذلك العصر. وخلاصة جزء من هذه الرسالة ما يلي: «إن توفيق باشا كان على محبة صداقة لي قبل أن يصبح خديوي وأنا بدوري أيضاً كنت أعتبر أصدقاء توفيق باشا أصدقاء لي وأعداء أعدائي» (٤٩). وعندما كان عبد الحليم باشا زعيماً لمجلس الماسونية في القاهرة كان تحت زعامته عدد من الماسون الأوروبيين وذيولهم مثل

بقايا المذاهب القديمة وبقايا السريان الذين دخلوا في المسيحية وكانوا يقومون بمساندته وتأييده
ولما كان حلیم باشا عدواً لتوفيق وكان يعتبره في الحقيقة معتصماً لمكانة كان يدعيها لنفسه لم
استطع أنا بسبب صداقتي مع الخديوي توفيق أن أتعاون معهم ويكون هناك تنسيق بيننا ولهذا
السبب قمت أنا وأصدقاء آخرين من مؤيدي أفكارى بالخروج من المحفل الماسوني بينما كنا في
حالة غرور بصداقتنا مع الخديوي توفيق كما قمت أنا بالتخلص من رئاسة المحفل أيضاً. وقد
ذهب الماسون الأوروبيون ومؤيدوهم إلى قنصل فرنسا وحذروه من أنه إذا لم يصبح حلیم باشا
خديوي على مصر فإن المصريين ثم سوف يثورون. ولقد ذهبت أنا وعدد من أصدقائي أيضاً
إلى قنصل فرنسا محبة لتوفيق باشا وإفشال جهود مؤيدي حلیم باشا وقلنا إن ما قاله أصدقاء
حلیم باشا في شأن توفيق ما هو إلا محض كذب وافتراء.

«ولقد قام أختي السابقون من الماسون الذين اعتبروني بعد ذلك غريباً عنهم وقطعوا الأمل
عن تولية حلیم باشا لمنصب خديوي مصر باتهامي بالإلحاد والإشتركية بل وحتى اتهموني
بالتخطيط لقتل توفيق باشا. وبعد أن أصبح توفيق باشا خديوي مصر، توجه عدد من الماسون
المؤيدين لحلیم باشا إليه وحكوا هذه الحكاية بشأنى أمامه انتقاماً عنى. وعلمت من ذلك أن
أعدائى أقوياء وعددهم كثير. ولهذا السبب قمت بتوضيح وشرح آرائهم ومطالبهم وأهدافهم
الحقيقية في الجرائد المصرية التى تصدر باللغات العربية والأوروبية، وعلى الرغم من أن
مؤيدي حلیم باشا كانوا يختلفون عن الماسون إلا أنهم كانوا يساعدونهم وكان أحدهم شخصاً
يدعى عثمان غالب (ذكره في الرسالة باسم عثمان مغلوب) وهو الذى قام بطردى من مصر
بأسلوب غاية في اللاإنسانية والوحشية، وكانت جميع مطابقات البوليس وتحركاته معى وليدة
النشاط العدائى لمؤيدي حلیم باشا ضدي» (٥٠).

علاقة السيد جمال الدين بالدين:

مهما كان سبب طرد سيد جمال الدين أو خروجه من محفل أو المحافل الماسونية فإنه يستبعد
تماماً أن يكون له علاقة بما اتهم به من إلحاد. يجب أن نقول إن المذكور قد اتهم من قبل الكثيرين
من أعدائه بالإلحاد في مواضع عدة. ففي سنة ١٨٧٠م/ ١٢٨٧ هـ أورد في خطبة له ألقاها في يوم
افتتاح المؤسسة الجديدة للتعليم العالى في استانبول - دار الفنون - مقارنة بين الفلسفة والنبوة
وبين الفلاسفة والأنبياء، وهناك تقارير مختلفة حول حقيقة ما قاله سيد جمال الدين كتبها كتاب
معاصرين له مثل خليل فوزى والشيخ محمد عبده وجرجى زيدان (٥١) ولكن ما حدث بوضوح
هو أن صحيفة تصدر باللغة الفارسية في استانبول تسمى «اختر» كتبت ضمن مقالة لها بعنوان
«شيطان في رداء إنسان» أن سيد جمال الدين سمي نفسه باسم الشيخ الأفغانى عند دخوله إلى
استانبول و«أظهر الزندقة والإلحاد على رؤوس الأشهاد وحاشا لله أن تحدث عن النبوة وكأنها
صفة الفلسفة. ولم تترك له الحكومة العلية العثمانية الفرصة لإضلال الناس عن طريق نظراته
الضيقة وضيق أفقه ولهذا السبب تم طرده ونفيه من دار الخلافة استانبول» (٥٢).

ومن المواضيع الأخرى التي اتهم فيها سيد جمال الدين بالإلحاد ذلك الرد الذي وجهه لمقالة ارنست رينان (Ernest Renan) المفكر الفرنسي في القرن التاسع عشر ففي هذا الرد الذي يقال إن سيد جمال الدين كتبه بالعربية ولا يوجد أصله في أيدينا وتوجد فقط نسخته الفرنسية التي صدرت في سنة ١٨٨٣م / ١٣٠١هـ في مجلة المناظرات والمباحثات الفرنسية (Journal Des Pélats) جاء أن «الحقيقة هي أن الإسلام حاول أن يخفق العلم» (٥٣). وفي رأينا وخاصة إذا وضعنا في الاعتبار أن صحة هذه الأقاويل كانت موضع شك من قبل كثير من الكتاب مثل حميد الله حيدر آبادي كما تعرضت آراء وكلمات سيد جمال الدين حول هذا الموضوع لتحاليل وبحوث مختلفة من قبل باحثين مثل حميد عنايت وكريم مجتهدى (٥٤). فإن مثل هذه الكلمات والعبارات التي صدرت عن سيد جمال الدين لا تجعل منه شخصاً ملحدًا. فإن ما بقي عن سيد جمال الدين كميراث للعالم الإسلامي يثبت أن سيد جمال الدين قد صبغ جميع نشاطه السياسي والاجتماعي طوال حياته في إطار المعتقدات والقيم الدينية الإسلامية وخصائص الثقافة الإسلامية، والواضح أن استنتاجات السيدة نيكي كدى في هذا الموضوع تتسم بالجهالة الشديدة» (٥٥).

وعلى أي حال فإذا كان سيد جمال الدين قد توقف عن ممارسة نشاطه الماسوني في القاهرة في عام ١٨٧٩م / ١٢٩٧هـ فإنه لم يتوقف عن متابعتها لهذا النوع من النشاط. وهكذا يبدو أنه كان قد ارتبط بعلاقة خاصة بالحركة الماسونية. وثبتت الرسالة المطولة التي كان قد كتبها الشيخ محمد عبده في تاريخ الخامس من جمادى الأولى سنة ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م أن سيد جمال الدين قد كتب كتاباً بخط يده أسماه «كتاب الماسون» وتركه عند الشيخ محمد عبده وعندما قامت السلطات الحكومية التي يسميها الشيخ محمد عبده «أعوان القبطية» باقتحام بيته ثم قاموا بسجنه أخذوا معهم هذا الكتاب أيضاً» (٥٦). وربما لهذا السبب فقد هذا الكتاب ولم يستفد منه الباحثون. كما أن سيد جمال الدين عندما ذهب إلى باريس في سنة ١٨٨٣م / ١٣٠١هـ لم يكف أيضاً عن الاتصال بالماسونية فهناك رسالة باللغة الفرنسية كتبها أحد المتحمسين للماسونية الفرنسية في سنة ١٨٨٤م / ١٣٠١هـ ويدعى لانجاسا (Langgaessez) تثبت أن سيد جمال الدين كان يريد أن يلتحق بعضوية أحد المحافل الماسونية في باريس باسم «الشيخ أفغانى» ولهذا السبب تم استدعاؤه من قبل كاتب هذه الرسالة لمباحثات كثيرة مطولة (٥٧).

الشيخ محمد عبده والماسونية:

كما نعلم فإن سيد جمال الدين أثناء تواجده في مصر الذي امتد لعدة سنوات وجد فيها تلاميذ له ومؤيدين ومحبين كثيرين كانوا مغرمين بشدة بأفكاره ووجهات نظره. وكان الكثيرون منهم في رفقته خلال ممارسته لنشاطه الماسوني، وكان من بينهم رجال مشهورون أمثال الشيخ محمد عبده وعبد السلام المويلحي وجميز (يعقوب) صنوع وأديب إسحق وإبراهيم اللقاني (٥٨) وكان أشهرهم جميعاً الشيخ محمد عبده، فقد كان مفكراً قديراً وكاتباً نشطاً وعالمًا مبرزاً، ويعتبر من

القادة البارزين للأفكار التجديدية الإسلامية في العالم العربي. وقد وصلت شخصيته الدينية إلى درجة أنه شغل منصب مفتي الديار المصرية في سنة ١٨٩٩م/ ١٣١٧هـ وهو أعلى منصب ديني في مصر في ذلك الوقت (٥٩). وقد ظل محمد عبده لسنوات يشيد بأستاذه جمال الدين على الرغم من أن اعتقاده بأستاذه هذا تغير بعد ذلك بشكل تدريجي فبعد عودته من منفاه البعيد في سنة ١٨٨٨م/ ١٣٠٦هـ كان يوجه انتقاداته لأعمال أستاذه هذا (٦٠). وعلى أي حال فإن الشيخ محمد عبده التحق بالمحفل الماسوني (كوكب الشرق) الذي كان تابعاً للإنجليز وطبقاً لما كتبه عثمان أمين فإن هذا المحفل كان يوصى بضرورة المشورة وتبادل الرأي بين الأفراد المتطلعين على ما يحدث من حقائق سياسية خلف الكواليس وكان يقيم علاقة تعاون وتضامن فيما بينهم (٦١). ولأن محمد عبده كان على صلة بحركة عرابي باشا بشكل ما فقد تعرض بعد فشل هذه الحركة أمام القوات الإنجليزية للسجن والمحاكمة ثم النفي بعد ذلك خارج البلاد. وقد قام الكسندر برادلي (Alexander M. Broadley) الذي كان واحداً من الماسون وألف كتاباً حول تاريخ الماسونية في مآله. وكانت السلطات الإنجليزية الحاكمة قد اختارته للدفاع عن محمد عبده وآخرين (٦٢) وتولى الدفاع عن محمد عبده أمام المحكمة في سنة ١٨٨٢م/ ١٣٠٠هـ وقد قال في هذه المحكمة التي كان النظام الاستعماري الإنجليزي في مصر قد أقامها لمحاكمة محمد عبده وآخرين قال في معرض دفاعه عن محمد عبده «لقد كان الشيخ محمد عبده أستاذاً متحمساً لمحفل ماسوني» (٦٣)، وطبقاً لما كتبه شاهين مكاربوس فإن الشيخ محمد عبده كان على علاقة أيضاً بالمحفل الماسوني التابع «للمشرق الفرنسي الأعظم» والذي تأسس في بيروت تأسس سنة ١٨٦٩م/ ١٢٨٦هـ تحت اسم «محفل لبنان» وكان يتردد على ذلك المحفل هو وباقي أصدقاء السيد جمال الدين طوال حركة عرابي باشا، حتى أنه - أي الشيخ محمد عبده - حصل هناك على درجة الماسونية (٦٤).

وقد تحدث رشيد رضا تلميذ محمد عبده وصديقه المخلص في مقالة كتبها في شهر أغسطس سنة ١٩٠٥م/ ١٣٢٣هـ - أي بعد موت محمد عبده بشهر واحد - حول كيفية انضمام أستاذه لطائفة الماسونية وخروجه منها. يذكر فيها أن تورط محمد عبده وسيد جمال الدين في أنشطة الماسونية كان من أجل أهداف ومطالب سياسية واجتماعية، وكان يعتبر خطوة في سبيل تكامل تربية وتعليم محمد عبده. فقد استطاع عبده عن طريق علاقته بالماسونية أن يوطد صلته مع توفيق باشا وباقي زعماء مصر وأن يبحث معهم المشاكل والقضايا المتعلقة بالحكومة المصرية وأن يصبح مطلعاً على مساوئها وأوجه القصور والسلبية فيها وأن يحاول القضاء على تلك المساوئ ويعوض أوجه القصور وفي النهاية يصبح مرشداً في الطريق الذي سلكه قبل ثورة عرابي باشا وبعدها. ولكن عبده كان قد تخلص من الماسونية قبل ذلك بمدة طويلة وبعد ذلك في سنة ١٨٨٨م/ ١٣٠٦هـ عندما عاد من منفاه إلى مصر وقام الماسون بدعوته إلى محافلهم لم يلب هذه الدعوة ولم يقبل النيشان الذي كانوا قد أرسلوه إليه. وعندما سأل رشيد رضا محمد

عبده عن حقيقة الماسونية، أجاب محمد عبده إن هذه المؤسسة قد ظهرت لكي تقف في مواجهة سطوة واستبداد الملوك والباباوات ورجال الدين الذين كانوا يحاربون العلم والحرية وكان هذا نفسه في حد ذاته عملاً عظيماً وكان يعد أحد الأسباب والدوافع التي ساهمت في تقدم أوروبا. ولكن أولئك الملوك والباباوات أصبحوا الآن هم حفظة الماسونية وحراسها وصاروا يحافظون عليها مثل الآثار القديمة والعاديات وينظرون إليها على أنها محافل أدبية هدفها إقرار التعارف وعلاقة الصداقة بين الناس. ولهذا السبب انتهى العهد المفيد والنافع للماسونية ولم تعد تخطو أية خطوات في إطار السبب الحقيقي لوجودها ويضيف رشيد رضا:

«لقد قال لي الشيخ محمد عبده نفسه إنه طلب ذات مرة من أحد محافظي بيروت أن يغلق محفل الماسونية ولكنه أدرك أن هذا المحافظ يخدع الحكومة العثمانية (في هذا الموضوع) ويتوجبه من كثير من الحكومات الأوروبية وكان الخوف قد تملك هذا المحافظ وراح يظن أن القضاء على الماسونية كان يخرج عن نطاق سلطته وقدرته» (٦٥).

ويرى رشيد رضا أن المكانة العليا والنفوذ الذي حققه محمد عبده في الجهاز الحكومي بمصر له علاقة بعضويته في طائفة الماسون، ولكنه يرى أن الكثيرين من علماء الأزهر كانوا يظنون أن الماسونية هي التي مهدت الطريق أمام تدرج محمد عبده في المناصب الحكومية ولهذا فإن عدداً كبيراً منهم التحقوا بالماسونية. وفي النهاية يصل وفي النهاية يصل رشيد رضا إلى نتيجة وهي أنه لم يكن من بين من انضموا إلى الماسونية من يهدف إلى خدمة الشعب والوطن سوى أتباع السيد جمال الدين. والوطن سوى أتباع سيد جمال الدين (٦٦)، وهناك رأى آخر حول هذا الموضوع من مصطفى صبري يدل على نفور وندم الشيخ محمد عبده على التحاقه بالماسونية حيث يذكر مصطفى صبري أن الشيخ بخيت مفتي الديار المصرية قد دار حوار بينه وبين محمد عبده حول الماسونية في الأيام الأخيرة من حياة الشيخ محمد عبده، ولكن الشيخ محمد عبده اشتد به الغضب لهذا الحوار وأبعد الشيخ بخيت وأعرب عن أسفه وندمه على علاقته بالماسونية (٦٧).

أتباع السيد جمال الدين الآخرين والماسونية:

كان جيمز (يعقوب) صنوع (المتوفى في ١٩١٢م / ١٣٣٠هـ) أحد أصدقاء سيد جمال الدين وتلامذته البارزين. وكان يعقوب صنوع هذا قد انضم إلى الماسونية في سنة ١٨٧٥م / ١٢٩٢هـ بتشجيع من أستاذه (٦٨). وكان صنوع صحفياً وكاتباً مسرحياً ناقداً مشهوراً وطبقاً لما قال طرازى: لا يمكن الظن أن هناك كتاب بين العرب أو العجم في ذلك الوقت لم يكن يعرف اسم الشيخ أبو نظارة المصري» (٦٩).

كان صنوع يهودياً مصرياً وكان يصدر عدة صحف استخدم في عدد منها لقب أبو نظارة، ولهذا السبب كان يسمى أيضاً «الشيخ أبو نظارة» وحول أهميته في تاريخ مصر يرى أحد

العلماء اليهود أنه كان له دور غير مباشر في ثورة عرابى بخطبه وكتاباته ومسرحياته الفكاهية التي كان يكتبها ويمثلها بنفسه على المسرح (٧٠).

وقد اعتبر الشيخ أبو نظارة في صحيفته «أبو نظارة زرقاء» التي كان يصدرها في باريس أن سيد جمال الدين رجلاً يقضى حياته في سبيل الإنسانية ويحب المصريين. وكانت هذه الجريدة هي نفس الجريدة التي نشرت بشكل عملي أفكار سيد جمال الدين (٧١). وكان أبو نظارة يقوم بنشر مقالات فكاهية - نقدية ضد الخديوى إسماعيل بمساعدة سيد جمال الدين ومحمد عبده (٧٢) وكان أثناء كتابته للجريدة في باريس يؤيد بشدة أن يصبح عبد الحلیم باشا الماسونى خديوى على مصر (٧٣).

عددنا الآن اثنين من أصدقاء سيد جمال الدين كان أحدهما مسلماً والآخر يهودى، ومن الواضح أنه كان بين أصدقائه الماسون من يتبعون الدين المسيحى أيضاً والنموذج الواضح لهؤلاء الأصدقاء تمثل في أديب إسحاق (ت ١٨٨٥م / ١٣٠٣هـ) وهو مسيحي سوري أسس صحيفة مصر الفتاة (٧٤)، وصحيفة مصر، وصحيفة التجارة، وصحيفة مصر القاهرة. وكان يكتب في صحيفة ثمرات الفؤاد وصحيفة التقدم وصحيفة المصباح. وكان قد رحل إلى مصر وتلمذ على يدي سيد جمال الدين وقرأ عليه (الفلسفة الأدبية والفلسفة العقلية والمنطق) (٧٥). وقد أسس أديب إسحق الصحيفة السياسية «مصر» بتشجيع من سيد جمال الدين في سنة ١٨٧٧م / ١٢٩٤هـ وكان هو والشيخ محمد عبده من كتاب هذه الصحيفة. وكان عبد السلام المويلحى وإبراهيم اللقانى من الأصدقاء الماسون لسيد جمال الدين كما كانا من محبيه والمغرمين به. كان المويلحى من النواب النشطين فى البرلمان المصرى وطبقاً لما كتبه مراسل صحيفة التايمز (The Times) الزعيم الحزبى «للحزب الوطنى» وكان سيد جمال الدين يؤيده ويسانده (٧٧).

كما كان إبراهيم اللقانى أيضاً من الكتاب العظام المبرزين وقد لعب دوراً بارزاً فى ساحة الأدب والسياسة المصرية. والرسالة القيمة التى كتبها هذا التلميذ الماسونى لأستاذه سيد جمال الدين تقوم دليلاً على العلاقة الوثيقة التى كانت تربطهما والاحترام الشديد الذى كان يحمله إبراهيم اللقانى لسيد جمال الدين.

فى هذه الرسالة يتحدث إبراهيم اللقانى حول الأحداث التى حدثت لأصدقاء وأتباع سيد جمال الدين بعد نفيه من مصر، كما يتحدث عن نشاط جماعته التى كان مشغولاً بها. ومن بين ما قاله فى هذه الرسالة أنه قام بتشكيل جماعة وساعده فى ذلك عائلات «سرسق وقطه وزغيب ومخلع» وهى عائلات مسيحية سورية. وقد قاموا بدعوة المسلمين أيضاً لهذه الجماعة، وأسس جريدة ناطقة باللغة العربية واللغة الفرنسية وكان هدفهم من ذلك الدعوة لأراء سيد جمال الدين وتعاليمه (٧٨).

ويعتبر شاهين مكاريوس أن إبراهيم اللقانى كان أيضاً من بين أصدقاء سيد جمال الدين

الذين كانوا على علاقة بالماسون في بيروت في «محل لبنان» وكانوا يشتركون في اجتماعاتهم أيضاً» (٧٩).

الماسونية وثورة عرابي باشا:

يشكل هؤلاء الأشخاص القليلون نموذجاً صغيراً من العلماء العرب الذين كانت لهم مكانة في طائفة الماسون، وهناك كتاب آخرون مثل سليم النقاش وكثيرين من ضباط الجيش مثل لطيف سالم وسعيد نصر، والباشاوات التابعين للخديوي مثل محمد شريف باشا وسليمان باشا عباده وبطرس باشا غالى ويعتبرون أيضاً من الأشخاص الذين انضموا إلى طائفة الماسون كما أن الكثيرين من الأشخاص الذين كانوا يجاهدون مع حركة عرابي الوطنية لإقرار الحرية والحكومة النيابية والحد من تدخل الأجانب في شئون مصر الداخلية كانوا على صلة بالمحافل الماسونية أيضاً. والمثال الواضح لمثل هؤلاء الرجال تمثل في سيد جمال الدين الأسد أبدي والشيخ محمد عبده وقد أشرنا من قبل إلى محادثتهما السرية مع عرابي باشا. وفيما يتعلق بلطيف سالم وسعيد نصر اللذين قاما ضد خديوي مصر في ذلك الوقت في المراحل الأولى من ثورة الجيش المصري فقد ورد أنهما قاما بقواتهما العسكرية في المراحل العسكرية بمهاجمة الوزراء الأجانب الذين كانوا انضموا إلى الوزارة في مصر في أواخر عهد حكومة الخديوي إسماعيل (٨٠). والعقيد عرابي باشا زعيم ثورة الجيش المصري وكذلك الشيخ محمد عبده كلاهما يشهد بأن لطيف سالم الذي كان مشتركاً في الثورة ضد الخديوي إسماعيل اعترف بنفسه بذلك، وتم سجنه إلا أنه تم إطلاق سراحه من السجن بمساعدة الماسون الذين كان واحداً من طائفتهم طائفتهم (٨١).

وكتب محمد صبرى أنه في نفس اليوم الذي تم فيه القبض على الضباط عقد الماسون جلسة برئاسة سيد جمال الدين وقاموا بإرسال برقيات لكل من إسماعيل باشا وأمير ويلز في إنجلترا طالبوا فيها بإطلاق سراح الضباط، وقد أكد لطفى السيد في كتابه «قصة حياتي» أيضاً مسألة تدخل سيد جمال الدين والماسون لصالح الضباط المسجونين (٨٢).

ومن ناحية أخرى كانت الحركة الوطنية المصرية تزداد رسوخاً يوماً بعد يوم وتجذب إليها جماهير الشعب، وكان هناك عدد كبير من الجماعات والأفراد المناهضين للنظام الحاكم أيضاً على صلة بهذه الحركة «والحزب الوطنى» الذى قال عنه عثمان أمين أن نوابه قد تشكلت فى الأساس من الماسون (٨٣) قام أيضاً ضد الخديوي توفيق ووزيره مصطفى رياض باشا. ويقول ألكسندر بربانلى أنه على الرغم من أن أحداً من زعماء الحزب الوطنى لم يكن منضمّاً إلى طائفة الأخوة الماسونية فإن عدداً كبيراً من الأعضاء الأقل درجة فى هذا الحزب وكذلك الذين يعملون تحت قيادة زعمائه كانوا يعتبرون من أكثر أعضاء الماسونية المتحمسين نشاطاً (٨٤).

كان أحد الأعضاء البارزين فى الحزب الوطنى وهو محمد شريف باشا من الماسون، كما

كان وزيراً أسبق وهو الذى عارض بشدة البرامج الإدارية لمصطفى رياض باشا. وكان الكثير من باقى أعضاء هذا الحزب من مؤيدى حليم باشا وكانوا يعملون على إيصاله إلى منصب خديوى مصر. وقد كتب الأستاذ كدورى (Kedourie) أن هذه الجماعة من الحزب الوطنى على علاقة بضباط جيش عرابى باشا الذين قاموا رسمياً فى مواجهة نظام توفيق (٨٥). ولكن قوات الإنجليز تدخلت رسمياً لسحق هذه الثورة الوطنية وتمكنت من إخمادها وقامت بقتل الكثيرين من الثوار وقامت بنفى عرابى باشا إلى سيلان بعد ذلك أصبحت إنجلترا الحاكم المطلق والمباشر على مصر (٨٦).

وربما لا يخلو من فائدة أن نذكر أن عدداً من ماسون مصر ومنهم مؤيدى إقرار حكومة حليم باشا وحليم باشا نفسه لم يكونوا لم يكونوا بعيدين عن حركة عرابى باشا.

ولكن هذه العلاقات والصلات تؤد إلى أن تتبدل الحركة الوطنية إلى حركة ماسونية.

فى مسيرة هذه الأحداث كان الذى انتصر فى الحقيقة هم الماسون الحاكمون فى إنجلترا فقد انتصروا بسحق عرابى باشا ورفقاء سلاحه فى مصر، لأنه كما ذكرنا من قبل (٨٧) فإن جارنت ولزلى قائد القوات الإنجليزية التى قضت على حركة عرابى كان ماسونياً وهو الذى كان يعتبر - كما صرح هو بنفسه - أن جميع ما حققه من نجاح كان عن طريق تبعيته للماسونية والمساعدات التى قدمها له أصدقاؤه الماسون. ومنذ ذلك الوقت أيضاً لم يعد الماسون الحاكمون فى إنجلترا يعانون من قلة نفوذهم وسطوتهم فى مصر والسودان. فبعد عرابى باشا بعام واحد توجه إلى مصر الجنرال كيتشنر (Kitchener Haratis Herbert) الذى كان جنرالاً ماسونياً فى الجيش الإنجليزى. وبعد عدة سنوات من الحروب الدموية تمكن من سحق ثورة المهدي السودانى ضد الإنجليز فى سنة ١٨٩٨م / ١٣١٦هـ وأصبح هو الحاكم العام للسودان فى سنة ١٨٩٩م / ١٣١٧هـ (٨٨). وفى نفس العام الذى تولى فيه كيتشنر الحكم فى الخرطوم قام المحفل الإنجليزى الأعظم بتأسيس المحفل الإقليمى الأعظم لمصر والسودان (District Grand Lodge for Egypt & The Sudan) وتولى رئاسته الجنرال كيتشنر بنفسه (٨٩).

وفى رأينا أن وجهة نظر حميد عنایت هذه حول ثورة عرابى تظهر تاريخياً: «أن ثورة عرابى باشا كانت نتيجة لاتصال وتزامن ثلاثة أحداث سياسية فى مصر: أولها عدم رضا إلى الضباط المصريين وسخطهم إزاء حصولهم على مرتبات ومزايا أقل بكثير بالقياس إلى الضباط الغير مصريين وخاصة الجراكسة والأتراك. وثانيها: كفاح لمطالبين بالحياة النيابية والأحرار المصريين الذين كانوا يناضلون ضد سياسة الخديوى وكانوا يطالبون بإقرار نظام نيابى وتشكيل مجلس قومى وطنى. والثالث أن إحساس الرأى العام لجماهير شعب مصر ضد التدخلات التى يقوم بها المستعمرون الإنجليز والفرنسيون قد وضعت بسرعة قيادة هذه الأحداث والمجريات فى يد عرابى باشا» (٩٠).

ولقد أقر عرابى واعترف بعد هزيمة من القوات الإنجليزية وأثناء محاكمته فى المحكمة أقر بأنه طوال ثورته التى قام بها ضد النظام كان يتلقى رسائل من حليم باشا الماسونى، لكنه أضاف أنه كان كثيراً ما يتلقى مثل هذا النوع من الرسائل من أشخاص كثيرين غيره. وينكر فى مذكراته أيضاً أنه كانت لديه أمانى وطنية ولم يكن مطلقاً فى خدمة أهداف ومطالب حليم باشا أو الإنجليز أو الفرنسيين أو أى أحد آخر(٩١). ويعتقد خبراء التاريخ المصرى أن صدق عرابى باشا فى هذا الموضوع لا تشوبه أية شائبة على الإطلاق.

انتشار الماسونية وانتهائها:

على أى حال، بما أن الماسونية بشكل عام تعتبر أسلوباً جديداً وليدة الحضارة البرجوازية الغربية المزدهجة فإن كل مكان وصل إليه نفوذ الغرب أو استقر الحكم المباشر لحكومة غربية فيه كانت المنظمات الماسونية تنتشر بنفسها بهدف الاستغلال والانهزامية لصالح البرجوازية الغربية. ومن الواضح أن مصر بعد أن دخلت فى دائرة المستعمرات الإنجليزية منذ عام ١٨٨٢م/ ١٣٠٠هـ انتشرت أنشطة الماسونية فيها بهدف تحقيق أهداف الهيمنة الحاكمة فى إنجلترا. وفى ذلك الوقت كانت الشخصية الأولى فى البلاد وتعنى به الخديوى توفيق نفسه واحداً من الماسون وقد اختاره «المحفل الأكبر الوطنى المصرى» الذى يسمى فى المكاتبات الإنجليزية (Lodge of Egypt National Grand) كأستاذ أعظم فى سنة ١٨٨٧م/ ١٣٠٥هـ. وكانت شبكة المحافل التابعة لهذه المنظمة الماسونية المصرية المركزية والتى كانت بدورها تابعة «للمحفل الإنجليزى الأعظم» تنتشر وتتوسع يوماً بعد يوم. وقد كتب أحد كبار الماسون ويدعى جون كاولز (John Coules) قام بزيارة لمصر حول أسلوب أنشطة المحافل التابعة لانجلترا كتب يقول: إن هذه المحافل يدور الحوار فيها وتلقى الخطب باللغات العربية والتركية واليونانية والفرنسية والإيطالية والألمانية والإنجليزية ويتم فيها إتباع تقاليد ورسوم وأداب «المحفل الإنجليزى الأعظم» وكان يتم فتح القرآن والكتاب المقدس لدى اليهود والمسيحيين فى هذه المحافل كما كان المسلمون واليهود والمسيحيون يستطيعون القسم بوضع أيديهم على كتبهم المقدسة. وكان الإيمان بوجود الخالق الأعظم خالق الكون من شروط عضويتها، كما كان الحديث حول الدين والمذهب والسياسة ممنوعاً فيها(٩٢).

وعلى أى حال إن رئاسة أو «أستاذية» الماسونية كان منصباً خاوياً بالنسبة للخديوى توفيق ولكن هذا المنصب نفسه كان يقم مساعدة عظيمة لتحقيق أهداف الماسونية فى مصر. وفى سنة ١٨٩٠م/ ١٣٠٨هـ اعتزل توفيق منصب رئاسة الماسونية واختير بدلاً منه إيريس راغب باشا لرئاسة «المحفل الأكبر الوطنى المصرى» وأصبح توفيق باشا عضواً فخرياً مدى الحياة فى هذا الحفل وكان راغب باشا هذا ابناً لأحد رؤساء الوزارات السابقين فى مصر وكان رجلاً على قدر كبير من الثروة والغنى ومعظم ثروته التى ورثها عن أبيه أنفقها فى سبيل تحقيق أهداف الماسونية وقد طالبت فترة رئاسته فى الماسونية لأكثر من ثلاثين عاماً وفى عهده انتشر

نشاط الماسونية في مصر وازداد رسوخا كما زيدت أعداد المحافل الماسونية فيها. حتى أنه سمي محفلين باسمه هو شخصياً أحدهما باسم «محفل إدريس» والآخر باسم «محفل راغب» والتقريب الذي كتبه لوثر السفير الإنجليزي في استانبول بتاريخ ٢٩ مايو ١٩١٠م (جمادى الأولى سنة ١٣٢٨هـ) واستقدنا منه في الفصل الخامس بالماسونية بين الأتراك - يثبت أن الماسونية في مصر في ذلك الوقت كانت تحاول أن تدخل الحركات الماسونية في ولايات الإمبراطورية العثمانية الأخرى تحت نفوذها ويذكر لوثر أن راغب باشا أصبح أيضاً مؤسساً ورئيساً عاماً لعدد من المحافل في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان، كما يذكر أن شخصاً باسم محمد عرفى باشا قام بتأسيس عدة محافل ماسونية في مصر والقس وجنوب سورية وكان يتمنى أن يضع محافل استانبول أيضاً في نظام ماسونيته ولهذا الغرض ذهب إلى استانبول في ربيع سنة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ ولكن الانقلاب الذي حدث هناك في إبريل من نفس العام دفعه لأن يهرب من استانبول خوفاً على حياته(٩٣).

ويبدو أن ما ورد في المجلد السادس والثلاثين من مجلة المقتطف سنة ١٩١٠م/ ١٣٢٨هـ بشأن تأسيس محفل «نيازي» الماسوني من قبل راغب باشا ومأدبة العشاء التي أقيمت في فندق كونتيننتال (Continental) بالقاهرة والخطب اللامعة التي ألقى بها بلغات أربع - والتي أشرنا إليها في فصل سابق - كانت خطوة في سبيل نشر وتوسيع نطاق نفوذ الماسونية في مصر برئاسة راغب.

كان للماسون في مصر مجلة باسم «اللطائف» كان مدير تحريرها منذ سنة ١٨٨٦م/ ١٣٠٤هـ هو أحد اللبانيين الماسون ومن مؤيدي راغب باشا المتحمسين وهو شاهين مكاربوس. وقد كتب شاهين مكاربوس عدة كتب أيضاً حول الماسونية، وكانت اللطائف مستمرة في طباعتها وصدورها حتى وفاة مكاربوس في سنة ١٩١٠م/ ١٣٢٨هـ ومنذ سنة ١٩١٥م/ ١٣٣٤هـ.

بدأ ابنه اسكندر مكاربوس في إصدار مجلة اللطائف المصورة واستمر في إصدارها لمدة خمسة عشر عاماً، وفي سنة ١٩٤٢م/ ١٣٢١هـ أصدر الماسون في مصر مجلة أخرى باسم الأيام وكان يدير تحريرها حسين شفيق، والمقالات التي كانت تظهر في هذه المجلة تثبت استمرار نشاط الماسونية المكثف في مصر وخاصة تلك التي تتحدث عن «جمهرة كبيرة من الإخوان». وبشكل عام وكما يذكر على الوردى فإن الماسونية في مصر كانت على خلاف الدول العربية الأخرى موضعاً لاحترام الشعب إلى حد ما. فالكثيرون من الأمراء والباشوات والزعماء الدينيين المصريين عرفوا طريقهم إلى طائفة الماسون. وكان سعد زغلول ماسونياً وظل ماسونياً حتى نهاية حياته دون أن يؤثر هذا على زعامته الوطنية والشعبية أدنى تأثير(٩٦).

وربما كان هذا هو ما يجعلنا نرى اسم أستاذ مشهور وكاتب لامع مثل الشيخ محمد أبى زهرة في طائفة الماسون أيضاً. فبعد أن ألغى جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية المصري الماسونية

فى عام ١٩٦٤م/ ١٣٤٣هـ وأعلن عدم شرعيتها نشرت مجلة القوات المسلحة حواراً مع الأستاذ أبى زهرة وجه إليه فيه السؤال التالى: «كيف ولماذا انضمتم إلى الماسونية؟» فأجاب الشيخ أبو زهرة أن تلميذاً سأله ذات يوم ما هى الماسونية؟ ولكنه لم يكن لديه إجابة على هذا السؤال ولأن الشيخ نفسه لم يكن يحصل على إجابة صحيحة ومقتعة على هذا السؤال من أحد فقد قرر أن يدخل بنفسه إلى طائفة الماسونية ولهذا السبب انضم إلى الماسونية متوكلاً على الله. وقد وجهت المجلة المذكورة سؤالاً آخر للشيخ أبى زهرة عن الذى استفاده وفهمه بعد تجربته مع الماسونية؟ فأجاب الشيخ: منذ ٤٠٠ سنة مضت والماسونية قاعدة لدفاع اليهود عن مصالحهم قاعدة لدفاع اليهود عن مصالحهم وكانوا تجهد فى تأسيس محافل لها فى أكثر المدن المهمة فى العالم ويحاول ضم الكفرين والعلماء والأدباء والسياسيين غير اليهود فى جميع أنحاء العالم إلى عضويتها ويستخمون شعارات الحرية والأخوة والمساواة كدعاية لجذب أصحاب الرأى إليها فى جميع أنحاء العالم الحرية والأخوة والمساواة فى جميع أنحاء العالم لجذب أصحاب الرأى إليها، ولهذا السبب وعن هذا السبيل فإن اليهود الآن أصبح لهم ظهور واضح مرة أخرى على الساحة العالمية. ويذكر الشيخ أبو زهرة فى النهاية أنه عندما وجد أن البقاء فى هذه المنظمة غير مفيد اعتزلها فى سنة ١٩٥١م/ ١٣٣٠هـ س(٩٧) وعلى أى حال، وكما نكر من قبل فإن مسيرة الماسونية فى عهد حكومة عبد الناصر لم تستمر فى مصر. ففى شهر إبريل سنة ١٩٦٤م/ ١٣٤٣هـ س أصدرت الحكومة المصرية أمراً بإغلاق جميع المحافل الماسونية. وفى الثالث من يونيو من نفس العام ذكرت مجلة آخر ساعة القاهرية فى مقالة لها سبب إغلاق «المحفل الأكبر» بأن هذا المحفل كان مصراً على إخفاء أعماله ووثائقه والحفاظ عليها فى سرية تامة:» ولهذا السبب كان يغض الطرف عن القانون الخاص بالمحافل والذى يعطى الحق لرجال الشرطة فى تفتيش كل محفل. ثم تضيف آخر ساعة وإن هذا ليس هو السبب الوحيد لحل المحافل الماسونية لأنه اعتبر إغلاقها من المسائل الأمنية للدولة، وخاصة أن الصهيونية كانت تضع فى اعتبارها أن تستفيد لصالحها من المحافل الماسونية والطبيعة السرية لأنشطتها(٩٨).

الماسونية تحت ستار الروتارى:

على الرغم من أن الماسونية فى مصر توقفت عن ممارسة نشاطها منذ عام ١٩٦٤م/ ١٣٤٣هـ لكن أندية الروتارى التى تساوى مجال نشاطها وأهدافها فى كثير من المجالات مع نشاط وأهداف الماسون وجدت لها فى هذه البلاد حياة جديدة وذلك لأنه يبدو أنه فى كل مكان تتوقف فيه الماسونية عن مزاوله نشاطها تبدأ منظمات أخرى مشابهة لها مثل الروتارى ونادى الليونز فى ممارسة نشاطها. وقد ظهر نادى الروتارى فى مصر لأول مرة فى سنة ١٩٢٩م/ ١٣٠٨هـ س (أو ١٩٣١ / ١٣١٠هـ س) ومن أجل نشاط أندية الروتارى ظهر تقسيم خاص لمناطق وضع جزء من العالم العربى ومنه مصر والسودان فى منطقة واحدة وكانت تعرف برقم ١٩٥(٩٩).

وطبقاً لما كتبه الكثير من كبار المسؤولين عن الروتارى الدولى فإن أحد خصائص روتارى القاهرة فى مصر هو أن أعضائه يتشكلون من قوميات وأجناس مختلفة (١٠٠). وقد كتب الدكتور عبد الحليم عويس أن عبد العظيم فهمى وزير الداخلية المصرى أمر بإغلاق أندية الروتارى فى مصر ولكن بعد أن تمت إقالته من الوزارة استطاع التابعون للروتارى استئناف نشاطهم (١٠١) ولأن النشاط الماسونى أصبح من الصعوبة بمكان فى مصر فإن الماسون المصرين حاولوا أن يتابعوا أهدافهم تحت ستار الروتارى.

ويجب أن نذكر أن مسيرة الأحداث كانت تتطور بهذا الأسلوب لأنه بعد إغلاق المحافل الماسونية فى مصر بست سنوات أصبح أنور السادات رئيساً لمصر وثيقاً فثياً بعد طريقه عن خط مسيرة وأهداف جمال عبد الناصر والمصريين وباقى شعوب العالم العربى وفى أواخر أيام سنة ١٩٧٧م قام بزيارته إلى إسرائيل ومدير الصداقة للنظام الصهيونى. وقد كان أنور السادات نفسه ماسونياً لفترة. وطبقاً لما كتبه حنا راشد فى الجزء الأول من دائرة المعارف الماسونية فإن المحفل السورى العربى الأكبر كان قد اختار أنور السادات فى تاريخ ٢١ فبراير ١٩٥٨م/ ١٣٣٦هـ ش كأستاذ أعظم فخرى لهذا المحفل الماسونى (١٠٢). ولهذا قلن يكون مثيراً للعجب أن نجد النشاط الماسونى مرة أخرى فى المجتمع المصرى - ولكن فى هذه المرة وراء وجه الروتارى.

وعلى أي حال فإن عدداً من الماسون قد التقوا بممدوح سالم رئيس الوزراء المصرى فى مكتبة ثم أعلنوا على الملأ أن مؤتمراً فى مجال أندية الروتارى سوف يتم عقده. وفى تاريخ ٣١ مارس ١٩٧٨م/ ١٣٥٧هـ ش أى بعد الزيارة الرسمية الأولى للسادات لإسرائيل كتبت جريدة الأهرام أن مؤتمر الروتارى لمنطقة الشرق الأوسط سوف يبدأ فى الإسكندرية تحت رعاية أنور السادات رئيس الجمهورية، وأن ممدوح سالم رئيس الوزراء سوف يحضر الجلسة الافتتاحية لهذا المؤتمر وسوف يشارك فى هذا المؤتمر حوالى ٣٠٠ شخص من العرب أعضاء أندية الروتارى ثم أعلنت هذه الجريدة فى تاريخ ٦ أبريل ١٩٧٨م/ ١٣٥٧هـ ش على الجميع أنه من المقرر أن يفتح عبد التواب هديب محافظ الإسكندرية فى نفس اليوم مؤتمراً للروتارى نيابة عن أنور السادات رئيس الروتارى وأن ممثلين عن أندية الروتارى فى مصر والسودان والبحرين والإردن ولبنان سوف يشاركون فى هذا المؤتمر وأن ممدوح سالم وممثل عن الروتارى العالمى سوف يحضران هذه الجلسة أيضاً (١٠٣).

ويرى كثير من أصحاب رأى أن القيام بنشاط ما فى سبيل تحقيق أهداف الصهيونية والمساعدة على إقرار السلام والمصالحة بين إسرائيل وباقى دول منطقة الشرق الأوسط يعتبر من أهداف ومطالب الروتارى العالمى. ولهذا السبب فإن أندية الروتارى فى إسرائيل لها نشاط واسع وفعال وفى يوم ١٣ مايو ١٩٦٤م/ ١٣٤٣هـ ش أقدم ممثلو ومندوبو أندية الروتارى العالمية على عقد مؤتمر فى إسرائيل أشادوا فيه بالحكومة الإسرائيلية وقرروا فى نفس المؤتمر

إعطاء منح دراسية لعدد من الطلبة الإسرائيليين (١٠٤). وقد كتب حسين عمر حماده فى سنة ١٩٨٢م / ١٣٦١هـ أن أربعين نادياً ٤٠ نادى من أندية الروتارى تمارس نشاطها بتوسع فى إسرائيل وتضم هذه الأندية فى مجموعها ما يقرب من من ألفين عضواً. وأن نادى الروتارى الذى تأسس فى حيفا وعكا والناصره قد قبل فى عضويته خليطاً من الأعضاء العرب واليهود. وفى كل نادى من أندية الروتارى الإسرائيلية يوجد قسم خاص مهمته نشر التفاهم والتطبيع بين العرب واليهود فى إسرائيل (١٠٥). ويذكر هذا الكاتب أيضاً واضعاً فى اعتباره سمات الروتارى العالمى ونشاطه الخاص فى إسرائيل والعلاقة الوثيقة بين أنور السادات والروتارى وإسرائيل يذكر أنه فى هذا السبيل نفسه قام رئيس العلاقات التعليمية فى وزارة الخارجية الإسرائيلية بزيارة لمصر فى سنة ١٩٨١م / ١٣٦٠هـ حتى يمهد لتبادل زيارات شبابية بين مصر وإسرائيل، وفى هذا المجال اتفق على أن يقضى أول جماعة من الشباب الإسرائيلى والذين يبلغ عددهم خمسين طالباً عطلتهم الصيفية بين أسر عربية مصرية وفى المقابل يقوم نفس العدد من الطلبة المصريين بقضاء عطلتهم الصيفية كلها بين أسر يهودية (١٠٦).

وهكذا يبدو أن نشاط الروتارى فى مصر فى عهد أنور السادات أخذ يحقق انتشاراً أكثر يوماً بعد يوم وكانت هناك مجلة خاصة بالروتارى تصدر فى القاهرة باللغات الثلاثة العربية والإنجليزية والفرنسية تحت اسم «مجلة الروتارى» وتقوم بالإعلان عن البرامج والأنشطة الواسعة للمنتمين إلى أندية الروتارى وأمام الجميع (١٠٧). كما تأسس فى جنوب القاهرة نادى روتارى خاص للسيدات أيضاً وتم منح جيهان السادات زوجة أنور السادات نوط الجدارة فى سبيل تصحيح أهداف الروتارى بوصفها سيدة مصر الأولى وأيضاً بوصفها السيدة الأولى للروتارى فى المنطقة رقم ١٩٥ وكان ذلك نتيجة لجهود السيد كامل بدوى رئيس هذه المنطقة (١٠٨). وقد جذب نشاط أندية الروتارى أيضاً عدداً من كبار رجال الدين إليه فقد كتبت مجلة الروتارى فى عددها الصادر فى يناير ١٩٧٣م / ١٣٥٢هـ وفى الجزء المكتوب باللغة العربية أن نادى روتارى الإسكندرية قد وجه الدعوة لفضيلة الأستاذ الأكبر الدكتور/ محمد محمد الفحام شيخ الأزهر لحضور إحدى جلساته فى شهر رمضان وتحدث شيخ الأزهر فى هذا النادى عن فضائل الإسلام والوحدة الوطنية واعتبر نادى روتارى الإسكندرية أن حضور شيخ الأزهر لهذه الجلسة حدثاً مهماً ومدعاة للفخر (١٠٩).

هوامتن الفصل الخامس

- ١- PP «Secret societies in Egypt», Landou, ١٣٧, ١٦٦-١٦٢.
- ٢- نفس المرجع، ص ١٣٩.
- ٣- R.F. Gould, >s History of Freemasonry, revised, edited, and brought up to date by Herbert Poole (London), vol. IV, P, (١٩٥٩), ٣٣.
- ٤- زيدان، تاريخ الماسونية، ص ١٦٤-١٦٥.
- ٥- Safwat, Freemasonry in the Arab World, P, ١١.
- ٦- زيدان، تاريخ الماسونية، ص ١٦٥.
- ٧- Gould, Freemasonry, Vol. IV, P, ٣٣.
- ٨- Landau, «Secret Societies in Egypt», PP, ١٣٩, ١٧٤.
- ٩- زيدان، تاريخ الماسونية، ص ١٦٥-١٦٦.
- ١٠- نفس المرجع، ص ١٦٥-١٦٧.
- ١١- نفسه، ص ١٨١ وما بعدها.
- ١٢- Gould, Freemasonry, vol. IV, P, ٣٣.
- ١٣- Landau, «Secret Societies in Egypt», PP, ١٣٩-١٤٧.
- ١٤- المرجع السابق، ص ١٤١ وما بعدها.
- ١٥- نفسه، ص ١٤٧-١٤٩.
- ١٦- Gould, Freemasonry, Vol. IV, P, ٣٤.
- ١٧- Landau, «Secret Societies in Egypt», P, ١٤٩.
- ١٨- لمعلومات أكثر حول هذا الموضوع انظر: اصفر مهدوى وايرج افشار، مجموعه اسناد ومدارك چاپ نشده درباره سيد جمال الدين اسد آبادي مشهور به افغانى (تهران، ١٣٤٢ هـ س)؛ صفات الله جمال اسد آبادي، اسناد ومدارك درباره سيد جمال الدين اسد آبادي (رقم ١٣٤٩ هـ س)، سيد جمال الدين اسد آبادي [مشهور به افغانى]، مقالات جماليه (تهران ١٣٥٨ هـ ش)، ص ٥-٢٤؛ ميرزا لطف الله اسد آبادي، شرح حال و آثار سيد جمال الدين اسد آبادي (قم، ١٣٤٩ هـ ش)؛
- ١٩- على سبيل المثال انظر: بيليجرافيا وصفية حول سيد جمال الدين تحت عنوان: Homa Pakdaman, D>jamal-Ed-Din Assad Abadi dit Afghani (Paris, ١٩٦٩).
- ٢٠- Landau, «Secret Societies in Egypt», P, ١٤٢.
- ٢١- رانين، فراموشخانه، جلد يك، ص ٣٥٩ به بعد.
- ٢٢- على سبيل المثال انظر: حسين عبد الله خورش، سيد جمال الدين اسد آبادي درسا زمان فراماسونري (تهران، ١٣٥٨ هـ ش).
- ٢٣- على سبيل المثال انظر: رانين، فراموشخانه جلد يك، ص ٣٥٩-٤٢٢.
- ٢٤- يذكر البرت عبد الله قنس زاده الذى قام بأبحاث واسعة حول سيد جمال الدين وحصل على رسالته فى الدكتوراه فى سنة ١٩٦٨م / ١٣٤٧ هـ ش من جامعة اينديانا الأمريكية (Indiana University) فى نفس الموضوع - أن جميع المؤلفات التى كتبت فى عصر سيد جمال الدين والتى كان على علم بها وأطلع عليها كلها عدا مصدر واحد أن سيد جمال الدين كان يقوم بتدريس الفلسفة فى

جامعة الأزهر، ولأن العلماء المحافظين لم يقبلوا الموضوعات القائمة على أساس الفكر والاستدلال وأفكار سيد جمال الدين الإصلاحية دفعوا جمال الدين إلى اعتزال التدريس في الأزهر ولكنه استمر في تدريسه لتلامذته في بيته. ويقول رشيد رضا نقلاً عن تصريح للشيخ محمد عبده أن سيد جمال الدين كان يذهب إلى الأزهر للزيارة في أيام الجمع ولم يتوجه هناك كمعلم ولو لمرة واحدة؛ انظر:

A. Albert Kudsi-Zadeh, «Afghani and Freemasonry in Egypt», Journal of the American Oriental Society, ٢٢ (١٩٧٢), ٢٥.
٢٤- مهدوى واقشار، مجموعة اسناد ومدارك، تصوير ٤٠.
٢٥- نفس المرجع، ص ٢٤-٢٥.

٢٦- ذكر مهدوى واقشار في صفحة ٢٤ من كتابهما «مجموعه اسناد ومدارك» أن تاريخ هذه الرسالة هو السابع من يونيو وهذا التاريخ لا يبدو صحيحاً والتاريخ الصحيح هو السابع من شهر يناير الذى يسمى فى اللغة الإيطالية «Gennais» وقد وردت هذه الكلمة فى الرسالة العربية لمحتل «كوكب الشرق» برسم «جنايو» انظر:

P. Kudsi-Zadeh, «Afghani and Freemasonry», ٢٧.

٢٧- مهدوى واقشار، مجموعه اسناد ومدارك، تصوير ٤١. وتوجد نسخة من دستور محفل «كوكب الشرق» باللغة العربية محفوظة فى مكتبة «المحفل الإنجليزى الأعظم» فى قاعة الماسون بلندن، انظر:

An Introduction, John A. Haywood, Modern Arabic Literature ١٨٠٠-١٩٧٠, with Extracts in Translation (London ١٩٧١), P. ١٢٢.

P. Kudsi-Zadeh, «Afghani and Freemasonry», ٢٦.

٢٩- «Idem, «Salim Anhuri» (١٨٥٦-١٩٣٣) Journalist, Poet, and Social Critic, «in Essays on Islamic Civilization Presented to Niyazi Berkes, edited by Donald P. Little (Leiden ١٩٧٦), PP. ١٧٩-١٨٩.

٣٠- Nikki R. Keddie, Sayyid Jamal al - Din «al-Afghani»: A Political Biography (Berkeley, California ١٩٧٢), PP. ١٠١-١٠٧.

P. Safwat, Freemasonry in the Arab World, ١٢.

نجدة فتحى صفوة، أوراق عربية، رقم ٤: الماسونية فى الوطن العربى (لندن، ١٩٨٠)، ص ٢٤.

٣٢- Wilfrid Scawen Blunt, Secret History of the English Occupation of Egypt Being a personal narrative of events (London ١٩٦٩), PP. ٤٨٤-٤٨٩.

P. Keddie, Jamal al Din «al-Afghani», ١٠٠.

٣٤- محمد باشا مخزومى، خاطرات سيد جمال الدين اسد آبادى معروف به افغانى، ترجمة مرتضى مدرسى جهاردهى (تبريز ١٣٢٨ خورشيدى)، جلدكيم، ص ٣٧-٣٨.
٣٥- نفس المرجع، ص ٣٨-٣٩.

٣٦- حائرى، تشيع ومشروطيت در ايران، ص ٧٢-٧٥.

٣٧- سيد محمد رشيد رضا: «تتمة ملخص سيرة الأستاذ الإمام: دخوله فى الماسونية من التمهيد»، المنار، المجلد ٨ (أغسطس ١٩٠٥م)، ص ٤٠٢-٤٠٣.

P. Kudsi-Zadeh, «Afghani and Freemasonry», ٢٨.

Blunt, Occupation of Egypt, P. ٤٩١.

- Elie Kedourie, ; ١٢٢-١٢١ .Keddie, Jamal al- Din «al-Afghani», PP -٤٠
Afghani and Abduh: An Essay on Religions Unbelief and Political Activism
.٢٠ .P, (١٩٦٦, in Modern Islam (London
- ٣٠ .Kudsi-Zadeh, «Afghani and Freemasonry», P -٤١
١- نفس المرجع؛ ص ٤٣٠ رشيد رضا، «ملخص سيرة الأستاذ»، ص ٤٠١-٤٠٢.
٤٢- نفسه، ص ٤٠١.
- ٤٣- Kudsi-zadeh «Af ghani and Freemasonry», p .٣٠.
٤٤- مخرومي، خاطرات سيد جمال، ص ٤١.
٤٥- أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث (بيروت، بدون تاريخ)، ص ٧٦.
٤٦- مهدي واقشار، مجموعه اسناد ومدارك، تصوير ٣٢.
٤٧- «فقد كنت وليا لمن والاه وعدوا لمن عاداه».
- ٤٨- مهدي واقشار، مجموعه اسناد ومدارك، لوحة ١٣-١٥، تصوير ٣٤-٣٧ لمعلومات أكثر
حول هذا الجانب من النشاط الماسوني لسيد جمال الدين انظر:
Keddie, Jamal al-Din «al-Aghani», PP .ff ٩٨, .ff ١٨٨, .ff ٤٣٤.
٤٩- Ibid, P ٥٨ .ff.; Berkes, Secularime in Turkey, P ١٨٢.
٥٠- مهدي واقشار، مجموعه اسناد ومدارك، ص ١٤٤-١٤٦.
٥١- Keddie, Jamal al-Din «al-Afghani», P ١٩١.
وللاطلاع على النص الفارسي لهذه الرسالة انظر: علي اصفر حلبي زندكي وسفرهای سيد جمال
الدين اسد آبادي (تهران، ١٣٥٦ هـ س) ملاحق بنهاية الكتاب، ص ٣١. وهذه الملاحق تضم مقالة
ارنست رينان ورد جمال الدين الذي قام بترجمته إلى الفارسية سيد محمد علي جمال زاده.
٥٢- «Keddie, Jamal al-din «al-afghani».
- لمراجعة النص الفارسي لهذه المقالة للسيد جمال الدين انظر: علي اصفر حلبي، زندكي وسفرهای
سيد جمال الدين اسد آبادي (تهران، ٣٥٦ خورشيدي) ملحق بنهاية الكتاب، ص ١ : ٣١. هذا
الملحق يحتوي على مقالة ارنست رينان ورد السيد جمال الدين، وقد ترجمت إلى الفارسية بمعرفة سيد
محمد علي جمالزاده.
- ٥٣- لمراجعة حديث الدكتور محمد عنایت انظر: سيری در اندیشه سياسي عرب از حملة نابليون به
مصرتا جنگ جهاني دوم (تهران، ١٣٥٦ خورشيدي) ص ١٠٤ وما بعدها. ولمراجعة حديث الدكتور
كريم مجتهدی انظر: سيد جمال اسد آبادي وتفكر جديد (تهران، ١٣٦٣ خورشيدي)، ص ٥١-٩٨.
٥٤- لمعلومات أكثر حول مواضع خلل متعددة في حديث نيكي كيدي حول سيد جمال الدين انظر:
عبد الهادي حائري «سيد جمال الدين اسد آبادي ومسألة عقب ماندگی در جامعه های إسلامی»، آينده،
٥، شمار ١٠٥-١٢ (١٣٥٨ خورشيدي) ص ٣٣ - ٧٢٦ و ٥٦ شماره ٢-١ (١٣٥٩ خورشيدي)
٧٦-٦٥.
- ٥٥- مهدي واقشاره مجموعه اسناد ومدارك، لوحة ٦٤، تصوير ١٣٧.
٥٦- نفس المرجع، صورة ٤٢-٤٣. يكتب إسماعيل رائين أن السيد جمال الدين بعد هذا التاريخ كان
على صلة بالمحافل الماسونية الإنجليزية في إنجلترا وفي تركيا العثمانية أيضاً، لكنه لا يقول من أين
استقى هذه المعلومات، ولهذا لا يمكن الأخذ بهذا القول؛ انظر فراموشخانه، جلدیکم، ص ٣٨٧-٣٨٨.
٥٧- Landan, «Secret Societies in Egypt», pp ٤٣١-١٤٢.

- ٥٨- لمعلومات أكثر حول الشيخ محمد عبده انظر: حسيني طباطبائي، شيخ محمد عبده مصلح بزرگ مصر (تهران ١٣٥٧ خورشیدی).
- ٥٩- Nabil A. ; (١٩٣٣, C.C. Adams, Islam and Modernism in Egypt (London - K Houry, «Islam and Modernization in the Middle East: Muhammad Abduh, an Ideology of Development, «Ph. D Dissertation, State university of New York at Albany, ١٩٧٦.
- ٦٠- عثمان أمين، رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده (القاهرة ١٩٦٥م)، ص ٤٠.
- ٦١- رشيد رضا «ملخص سيرة الأستاذ»، ص ٤١٦.
- ٦٢- Kudsi zadeh, «Afghan ; ١٧٦ .Landan, «Secret Societies in Egypt», P and Freen asonry», p ٣٢.
- ٦٣- صفوة الماسونية، ص ٣٠.
- ٦٤- رشيد رضا، «ملخص سيرة الأستاذ»، ص ٤٠٢.
- ٦٥- نفس المرجع، ص ٤٠٣.
- ٦٦- عمر حسين حمادة، شهادات الماسونية (دمشق، ١٩٨٢)، ص ٨٣-٨٤.
- ٦٧- Kudsi-Zadeh, «Afghni and Freen Asonary», p ٢٨.
- ٦٨- الفيكونت فيليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية (بيروت ١٩١٣) المجلد الثاني، ص ٢٨١ وما بعدها.
- ٦٩- (Vol. IC ١٩٦٧-J. M. Landan, «Alu Naddara» EI٢ pp, ١٤٢-١٤١.
- ٧٠- Keddie, Janal al-din «al-Afghani», p.p ١٨٥-١٨٤.
- ٧١- طرازي، تاريخ الصحافة العربية، المجلد الثاني، ص ٢٨٣.
- ٧٢- Landau, «Secret Societies in Egypt», p ١٥٥.
- ٧٣- طرازي، تاريخ الصحافة العربية (بيروت، ١٩١٤)، المجلد الثالث، ص ٥٦-٥٧.
- ٧٤- نفس المرجع، المجلد الثاني، ص ١٠٥ وما بعدها.
- ٧٥- (Vol. IVL, U.Rijjitano, «Ishak, Adib», EI٢ p.p, ١١١-١٢١).
- ٧٦- Keddie, Janal al-din «Al-afghani», p ١١٦.
- ٧٧- «اجتمعوا على القيام بإعلاء كلمة السيد والنداء بما كان ينادى»؛ انظر: مهدي وإفشار، مجموعة اسناد ومدارك، صورة ١٠٨.
- ٧٨- صفوة الماسونية، ص ٣٠.
- ٧٩- Landau «Secret Societies in Egypt», p ٢٧. Kudsi-Zadeh, «Afghani and Freemasonary», p ١٤٣, ١٧٧.
- ٨٠- Blunt, Occupation of Egypt, p.p ٩٣٩-٩٨٩.
- ٨١- Kudsi, Zadeh, «Afghani and freemasonry, p ٣٢.
- ٨٢- أمين؛ الإمام محمد عبده، ص ٤٠.
- ٨٣- Kudsi-Zadeh, «Afoshani and Freemasonary, p ٣٢.
- ٨٤- (vol. III, E.K edourje, «Hizb», EI٢ p.p, ٥١٩-٢٦).
- تم نقل هذه المقالة حديثاً إلى الفارسية بهذه البيانات: جواد شيخ الإسلامى (مترجم)، أحزاب دركشورهای اسلامی (تهران ١٣٦٦ خورشیدی)، ص ١١-٨٣.
- ٨٥- لمزيد من الاطلاع حول هذه الثورة انظر: لوتسكى، تاريخ عرب درقرون جديد، ص ٣٢٢

A Political History : ١٩٢٢-١٥١٦ P.M. Holt, Egypt and the fertile crescent
 (Ithaca, N.Y. ١٩٦٦), p. ٢١١ FF.

٨٦- انظر إلى الفصل الثاني من نفس الكتاب قسم «فراماسونكري، نهادي از تمدن دورويہ بورزوازي غرب».

٨٧- لمعلومات حول ثورة المهدي السوداني ودور كيتشنر انظر: لوتسكي، تاريخ عرب درقرون جديد، ص ٣٧٦-٣٩٥؛ بي. أم. هالت وأم. دبليو دبليو، تاريخ سودان بعد از اسلام، ترجمة محمد نقي الكبرى (مشهد ١٣٦٦ خورشيدى)، ص ٩٥-١٣٨.

٨٨- Gould, Freemasonry, vol. IV, p.p. ٣٣-٣٤.

٨٩- عنایت، سیری در اندیشه عرب، ص ١٢٠.

٩٠- للاطلاع حول رؤية عرابي باشا ووجهات نظره ومكراته انظر:

١. Blunt, Occupation of Egypt, Appendix

Gould, Freemasonry, Vol. IV -٩١

٩٢- Kedourie, Young Turks, Freemasons, and Jews, p. ٩٧.

٩٣- رائين، فراموشخانه، جلدوم، ص ٣٧٥-٣٧٩.

٩٤- لمعلومات أكثر حول التنظيمات الماسونية في مصر انظر: الوردى، لمحات اجتماعية، المجلد الثالث، ص ٣٦٥-٣٦٦، صفوة، الماسونية، ص ٢٤-٢٥؛

Sagwat, Freenasonry in the Arabe World, p.p. ١٢-١٣.

٩٥- الوردى، لمحات اجتماعية، المجلد الثالث، ص ٣٦٦-٣٦٨، صفوة، الماسونية، ص ٢٥-٢٨؛

Safwat, Freenasonry in the Aral World, p. ١٩.

٩٦- حمادة، شهادات ماسونية، ص ٦٠-٦٣.

٩٧- صفوة، الماسونية، ص ٢٨-٢٩؛

Safwat, Freenasonry in the Arab World, p. ١٩.

٩٨- حسين عمر حمادة، الروتارية والروتاريون وحتمية انهيار الحركات السرية الدولية الهدامة

(دشمن، ١٩٨٢)، ص ١٦.

٩٩- George R. Means and Chesley R. Perry, «Rotary Club»-Eb, Vol. ١٩

(١٩٦١)، p.p. ٥٦٩-٥٧٠.

١٠٠- حمادة، شهادات ماسونية، ص ١٢.

١٠١- نفس المرجع، ص ١٢٥.

١٠٢- نفس المرجع، ص ١٢، ١٤؛ وانظر لنفس المؤلف، الروتارية والروتاريون، ص ١٨٧-

١٨٨.

١٠٣- حمادة، شهادات ماسونية، ص ١٢٧.

١٠٤- نفس المؤلف، الروتارية والروتاريون، ص ١٦-١٧.

١٠٥- نفس المرجع، ص ٨٨-٩٠.

١٠٦- نفسه، ص ١١١.

١٠٧- نفسه، ص ١٥٨-١٦٢.

١٠٨- نفسه، ص ١٤٠ وما بعدها.